

وزارة الثقافة
المختار من التراث العربي
« ٦١ »

مكتاب

الشبلا والنظائر

من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين

للخالدين

أبي عثمان سعيد بن هاشم المنوفي نحو سنته ٤٠٠ هـ
وأبي بكر محمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠ هـ

اختار النصوص وعلق عليها

الدكتور محمد علي دقة



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٥

من كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين/
أبو عثمان سعيد بن هاشم، أبو بكر محمد بن هاشم، اختار
النصوص وعلق عليها محمد علي دقة . - دمشق: وزارة الثقافة ،
١٩٩٥ - ١٠٧ - ص : ٢٠ سم ٠ -
المختار من التراث العربي: (٦١).

٣- الخالدي

خ ال م ٢ - العنوان

٨١١٠٠٨ - ١

٥ - دقة ٦ - السلسلة

٤- الخالدي

مكتبة الأسد

الايدياع القانوني : ع - ٩ / ١ / ١٩٩٥

من كتاب
الأشباه والنظائر

المقدمة

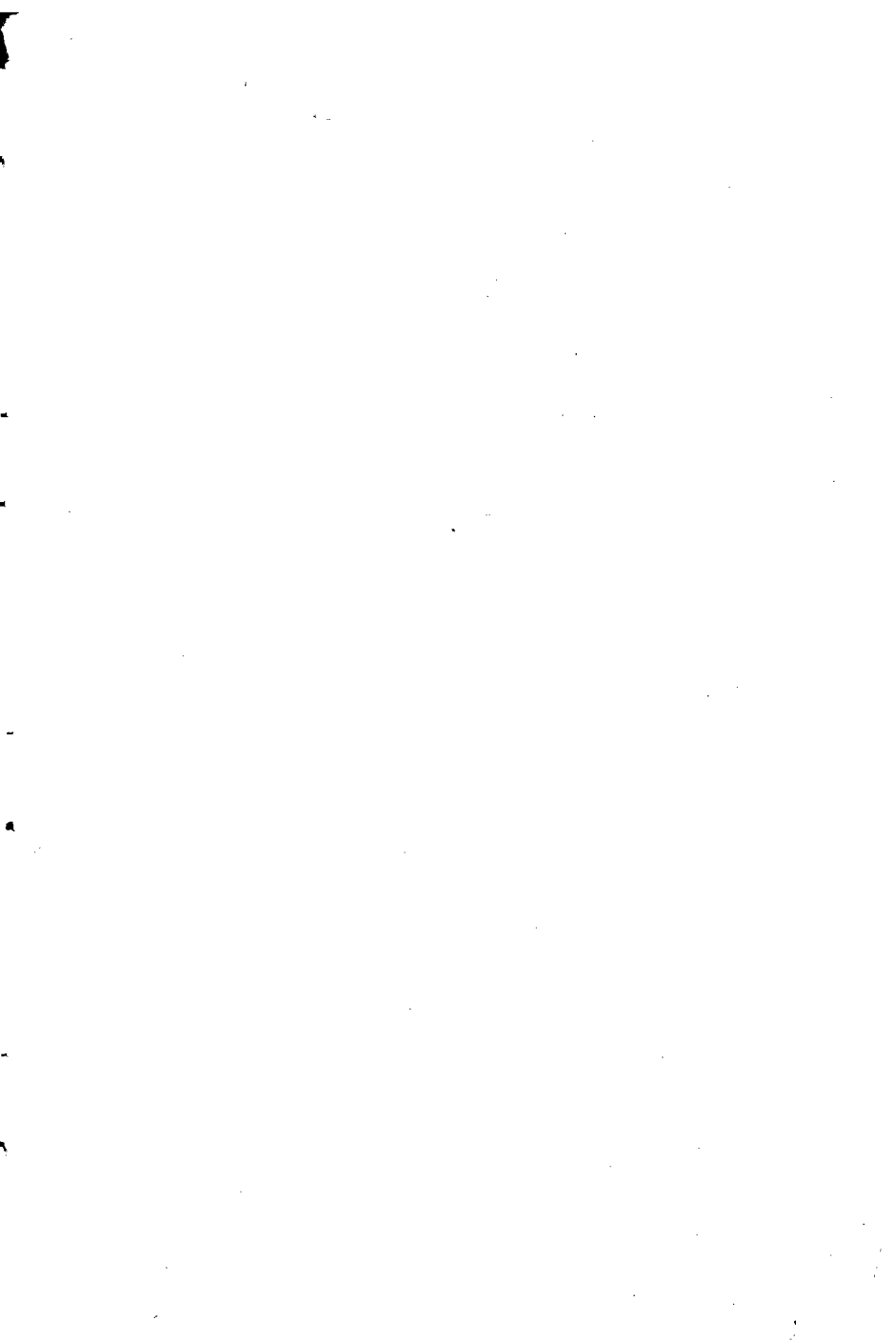
هذا كتاب في المختار من «الأشباه والنظائر»، واختيار المرء صورة من عقله وذوقه، سواء أكان اختياراً لكتاب أم لنصوص منه، والاختيار قديم عمد إليه الأجداد في تأليفهم وتصانيفهم، فالمراد اختار من عيون الأدب والأشعار والأخبار ما أودعه كتابه الموسوم بالكامل، وكذلك فعل القالي في الأمالي، وأبو تمام والبحثري في الحماستين، وقد قيل عن أبي تمام إنه كان في حماسته أشعر منه في شعره.

وكتاب الأشباه والنظائر، وإن كان نقداً تطبيقياً تناول فيه المؤلفان قضية السرقات الأدبية، هو اختيار لم يجمع فيه المؤلفان الأشباه والنظائر جميعها، وإنما اختارا منها ما راق لهما ونم عن ذوقهما الأدبي الرفيع.

وقد سعيتُ جاهداً في اختياري نصوصاً من «الأشباه» ألا أحكم الذوق الخاص، عملاً بوصية الأخ الدكتور عدنان درويش، ليكون المختار صورة دقيقة من الكتاب الأم. ولكنني أعترف أنني أخفقت بعض الإخفاق في هذه المهمة، وهل بإمكان المرء أن يتخلى عن ذوقه في اختياره؟. ومن أمارات هذا الإخفاق أن الخالدين أكثر من الأشباه والنظائر في معاني الغزل وصوره، ووافق ذلك هوى في النفس، فتسبّطت في اختيار هذه الصور والمعاني، وأقلّ من النظائر في معاني الهجاء وصفة الناقة والفلوات، ووافق ذلك هوى في النفس فقبضت بعض القبض في اختيار هذه النصوص.

لذلك جاء المختار من الكتاب وقد ازداد فيه طغيان أشباه على أشباه ونظائر على نظائر هي أصلاً طاغية في الكتاب الأم.

وقد يشفع لاختياري هذا أنني أحد أبناء هذا العصر مما يجعل المختار أقرب إلى نفس القارئ المعاصر.



المؤلفان

أبو عثمان سعيد وأبو بكر محمد ابنا هاشم بن وعلة بن عرام بن يزيد بن عبد الله بن عبد منبه بن يثربي بن عبد السلام بن خالد بن عبد منبه^(١)، بعض بني عبد القيس^(٢). وهما من أهل الخالدية، وهي قرية من أعمال الموصل، ونسبتهما إليها، وقيل نسبتهما إلى جدتهما خالد بن عبد منبه^(٣).

وهما أدبيان شاعران من أدياء القرن الرابع الهجري، وصفهما ياقوت بأنها «أديبا البصرة وشاعراها في وقتها»^(٤). ولا نعرف تاريخ ولادتهما. أما وفاة أبي بكر وهو أكبرهما سناً، كانت سنة ٣٨٠هـ، ووفاة أبي عثمان في حدود ٤٠٠هـ^(٥)، وذكر ياقوت أن وفاته كانت سنة ٣٧١هـ^(٦). ولا يصح ذلك لأن أبا عثمان صنع شعره وشعر أخيه قبل موته^(٧)، مما يدل على أن موته كان متأخراً عن موت أخيه.

نزل الخالديان بغداد طلاباً للعلم فأخذوا عن علماء العصر كابن دريد (ت ٣٢١هـ)، والصولي (٣٢٥هـ)، وجحظة (٣٢٤هـ)، وابن الخياط النحوي (٣٢٠هـ)، ثم ترددا على مجالس الوزراء وكبار رجال الدولة، ثم اتصلا بسيف الدولة الحمداني، فصارا من خواص شعراءه وفي مقدمة ندمائه وولاهما خزانة كتبه، وحظيا منه بالهدايا والأموال^(٨).

وكانا على اتصال وثيق بالوزير المهلبى ببغداد، وقويت هذه الصلة

(١) معجم البلدان: (الخالدية)

(٢) معجم الأديباء ١١: ٢٠٨. ط دار المأمون.

(٣) الأعلام ٣: ١٥٦، والتاج (خلد)

(٤) معجم الأديباء ١١: ٢٠٨.

(٥) فوات الوفيات ١: ١٧٢.

(٦) معجم الأديباء ١١: ٢٠٩.

(٧) المصدر السابق.

(٨) الأعلام ٧: ٢٥٣.

وتوثقت عراها بعد أن تسلم أبو اسحاق الصابي ديوان الرسائل للمهلي، وكان الصابي شديد الإعجاب بالخالدين، يحفظ جانبهما ويناصرهما على خصمهما السري الرفاء الشاعر، مما أدى إلى رجوعهما إلى بغداد قبل وفاة المهلي. وذكر المعري أنهما فارقا سيف الدولة على حد مغاضبة^(١). ولا نعرف شيئاً من أخبارهما بعد موت الوزير المهلي.

وقد اشتهر الخالديان بسعة الرواية وكثرة الحفظ، وقد تعجب ابن النديم من ذلك، فقال: «قال لي الخالدي، وقد تعجبت من كثرة حفظه: أنا أحفظ ألف سفر كل سفر مائة ورقة»^(٢).

ولعل أعجب ما في أخبارهما اشتراكهما التام في حياتهما الأدبية، من شعر ورواية وتصنيف، حتى قال فيهما الثعالبي: «إنه كان يجمعهما من أخوة الأدب مثل ما كان ينظمهما من أخوة النسب، فهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة، ويشتركان في قرض الشعر وينفردان، ولا يكادان في الخضر والسفر يفترقان»^(٣).

وكان هذا الأمر موضع استغراب المعري إذ قال: «ولهما ديوان ينسب إليهما لا ينفرد فيه أحدهما بشيء دون الآخر إلا في أشياء قليلة وهذا متعذر في ولد آدم، إذ كانت الجبلة على الخلاف وقلة الموافقة، فأما أن يعمل الرجل شيئاً من كتاب ثم يتمه الآخر فهو أسوغ في المعقول من أن يجتمع عليه الرجلان»^(٤).

ومن أبرز أخبارهما ما اتهما به من سرقة أشعار الآخرين، إذ كان السري الرفاء يدعي عليهما سرقة شعره وشعر غيره، ويهجوهما بذلك، ومنه قوله:

ولقد حميت الشعر، وهو بمعشر
رغم سوى الأسماء والألقاب
وضربت عنه المدعين، وإنما
عن جودة الآداب كان ضرابي
فغدت نبيط الخالدية تدعي
شعري، وترفّل في حبير ثيابي^(٥)

(١) رسالة الغفران، ت كيلاني: ٢٩.

(٢) الفهرست: ١٦٩.

(٣) بيتمة الدهر ١: ٥٠٧.

(٤) رسالة الغفران: ٢٩-٣٠.

(٥) معجم البلدان (الخالدية). والرّم: خز موشى.

ووصفهما ابن النديم بأنهما «كانا إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه حياً كان أو ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كان طبعهما»^(١). أما ياقوت فرأى أن كلام ابن النديم هذا فيه موافقة للسري الرفاء أو مجاراة له، وأن ادعاء السري مبعثه الغيرة والتضاغن الذي يكون بين المتعاصرين، فقال: «وكان بينهما وبين السري الرفاء الموصلي ما يكون بين المتعاصرين من التباين والتضاغن، فكان يدعي عليهما سرقة شعره وشعر غيره ويدس شعرهما في ديوان كشاجم ليثبت مدعاه»^(٢).

ولعل مما يرجح رأي ياقوت فيهما أننا لا نعرف أحداً شهد عليهما بسرقة أشعار الآخرين غير ابن النديم. أما السري الرفاء فدافعه إلى ذلك المنافسة على الخطوة لدى الملوك والأمراء وطموحه للحاق بمتزلتلهما، غير أنه أخفق في ذلك، إذ ثلبه الخالديان وطارده من حلب إلى الموصل ببغداد، وانتصرا عليه في كل مكان، فقطعوا رسمه من سيف الدولة وركبه الدين في بغداد^(٣). وقد ترك الخالديان عدداً من التصانيف في الأدب والنقد فضلاً عن ديوان شعرهما ومن مؤلفاتهما:

- كتاب أخبار أبي تمام ومحاسن شعره.
- اختيار شعر ابن الرومي.
- اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره.
- اختيار شعر ابن المعتز والتنبيه على معانيه.
- كتاب أخبار الموصل.
- كتاب التحف والهدايا.
- حماسة شعر المحدثين أو اختيار أشعار المحدثين.
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين.



(١) الفهرست: ١٦٩، ومعجم الأدياء: ١١: ٢٠٩.

(٢) معجم الأدياء: ١١: ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) الفهرست: ١٦٩.

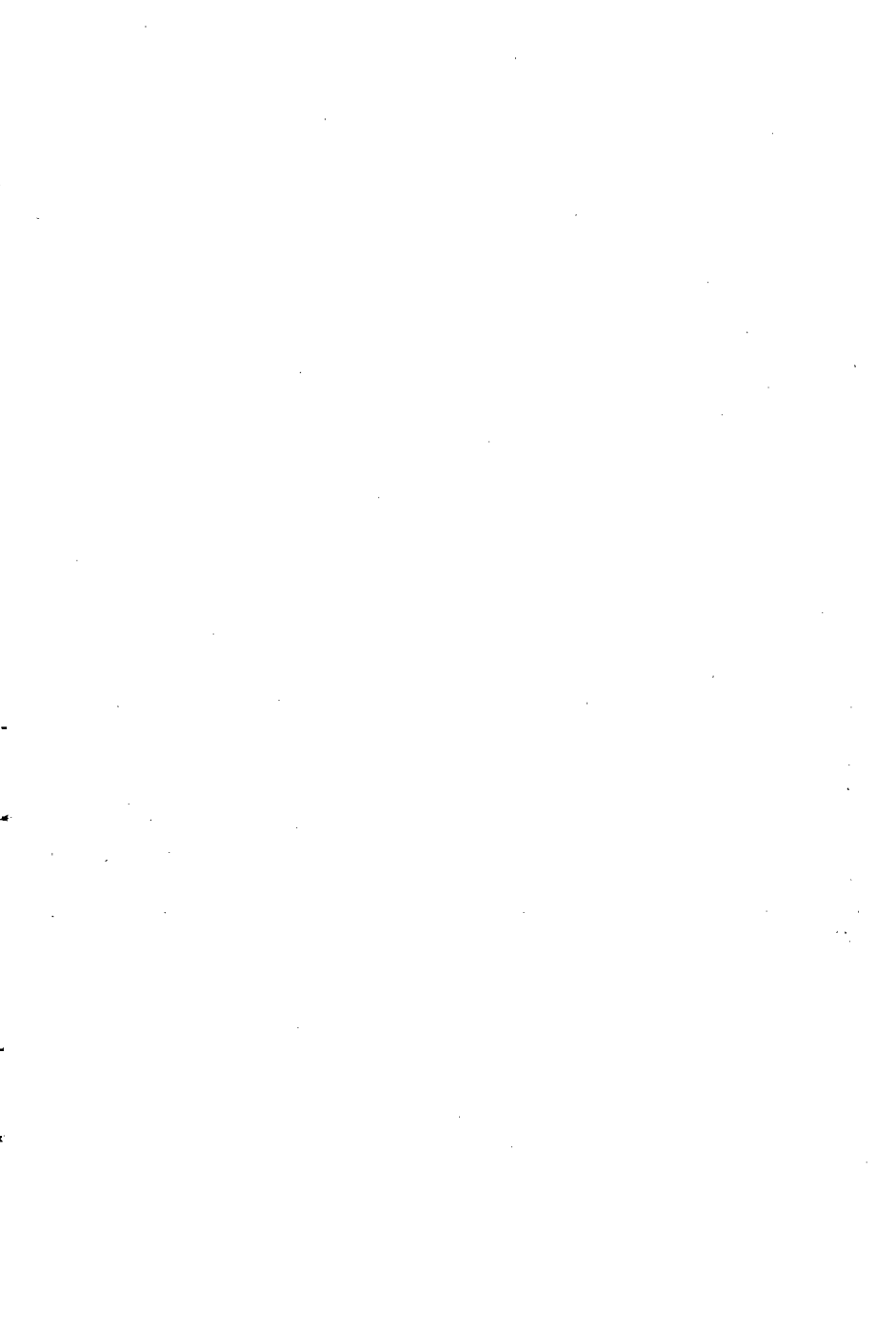
الأشياء والنظائر

هو كتاب في الاختيار الشعري، ضم مقتطعات وقصائد من أشعار الجاهليين والمخضرمين مع أشباهها ونظائرها من أشعار المحدثين، الذين عاصروهما في القرن الرابع الهجري قصد منه الخالديان عرض المعاني التي سبق إليها الأقدمون، وإجادة المحدثين أو تقصيرهم في أخذ هذه المعاني. مساهمة من الخالديين في قضية السرقات الأدبية التي شغلت نقاد ذلك العصر.

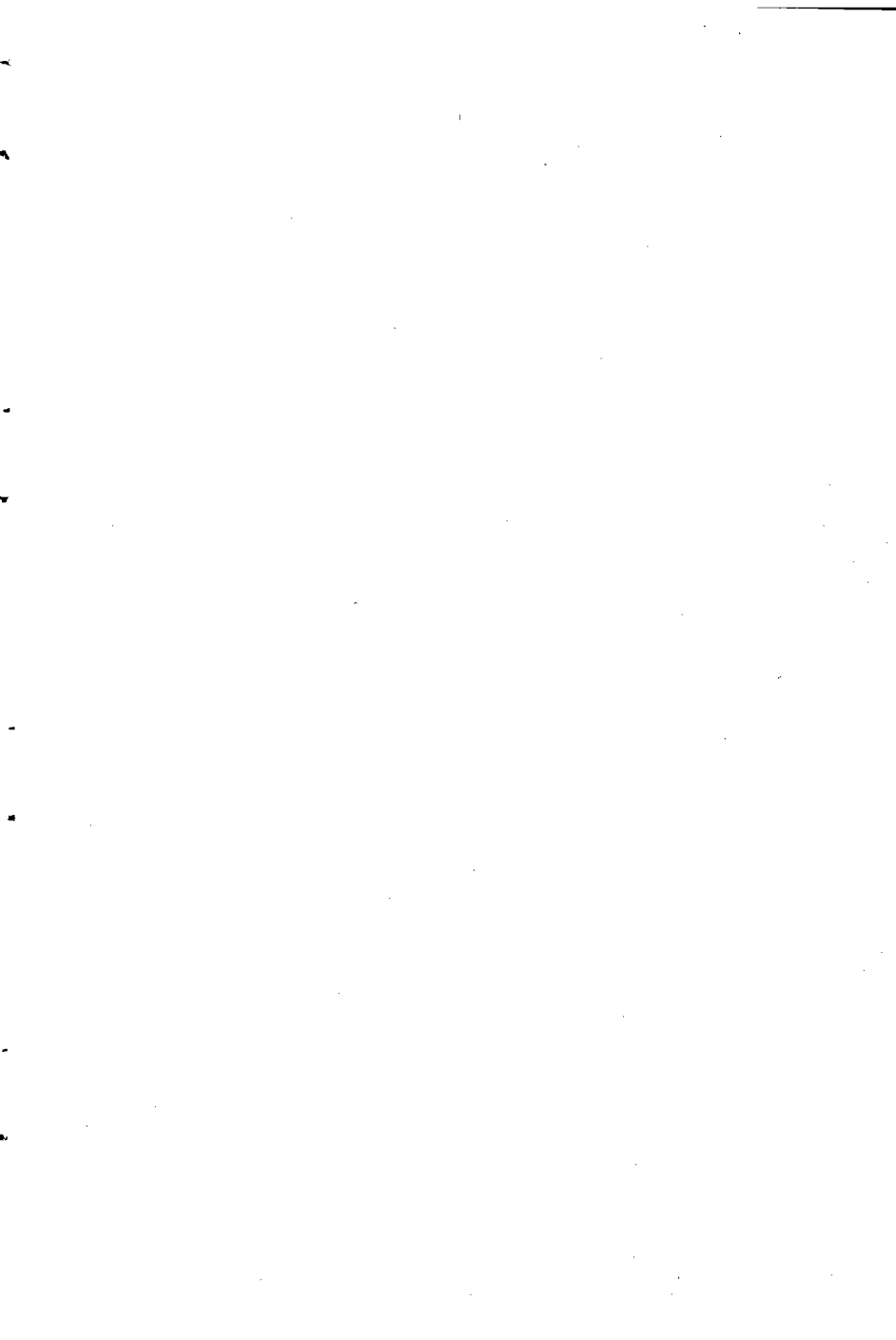
وقد تخلل الأشباه ونظائرها تعليقات للخالديين نبها فيها إلى المعاني المخترعة أو المتبعة، وبيننا المعاني المسروقة، أو شرحا المعنى، أو نوها بإصابة التشبيه أو حسن التقسيم أو جودة المعنى. وهما يريان أن للمتقدمين فضل الاختراع وللمحدثين فضل التجويد والتزيين.

وكان اهتمام الخالديين بالشعراء المغمورين والأشعار الوحشية النادرة كبيراً، إذ لم يكن اهتمامهما منصباً على الأشعار المشهورة الذائعة، لذلك حوى الكتاب قدراً طيباً من غرر الأشعار التي خلت منها المصادر الأخرى، مما جعل له قيمة خاصة في دراسة التاريخ الأدبي.

ويخلو الكتاب خلواً تاماً من ظاهرة التبويب والترتيب، ولم يتقيد الخالديان بجمع النظائر كلها في موضع واحد، إذ ذكرا نظائر معنى واحد في مواضع مختلفة، ولم يشترطاً على نفسيهما الإتيان بجميع النظائر، لأنهما كما قالاً: «لم يحيطا بجميع العلم، والشعر أكثر مما يحصى».



النصوص المختارة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم]

الحمد لله الواحد بلا كيفية تقع بها الإحاطة عليه، والأزلي بلا وقت تنسب الصفات إليه، حمداً يُورد من جليل نعمه، وجزيل قسمه، مشرباً عذباً ومسجياً رحباً، وصلّى الله على سيدنا محمد ما أورد شجر، وأبغ ثمر، وعلى الطاهرين من عترته وسلّم تسليماً.

وبعد - فسح الله لنا في مدتك، ووقفنا لما نؤثره من خدمتك - فإننا رأيناك بأشعار المحدثين كلفاً، وعن القدماء والمخضرمين متحرّفاً، وهذان الشريجان^(١) هما اللذان فتحا للمحدثين باب المعاني فدخلوه، وأنهجوا لهم طريق الإبداع فسلكوه، أما سمعت - زاد الله قدرك علواً ورفعةً وسمواً - قول الشاعر^(٢):

فلو قبل بكها بكيت صباةً
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا
إليها شفيت النفس قبل التندم
بكها فقلت: الفضل للمتقدم
ومن أمثالهم السائرة: ما ترك الأول للآخر شيئاً، إلا أن أبا تمام لم يرض بهذا المثل حتى قال يصف قصيدة له:

لا زلت من شكري في حلة
يقول من تفرع أسماعه
لابسها ذو سلبٍ فاحير
كس ترك الأول للآخر

ومن المعنى الأول قول عنترة: «هل غادر الشعراء من متردم؟»

(١) الشريجان: اللونان المختلفان.

(٢) هو عدي بن الرقاع، يذكر حماسة.

أي ما تركوا كلاماً لتكلم . فإذا كان عترة - وهو في الجاهلية الجهلاء ، وإمام الفصاحة الفصحاء - يقول مثل هذا القول فما ظنك بهذا العصر وقبلة بمستي سنة؟ فلسنا بقولنا هذا، أيلك الله، نطعن على المُحدثين ولا نبخسهم تجويدهم ولطف تدقيقهم، وطريف معانيهم، وإصابة تشبيههم، وصحة استعاراتهم . إلا أننا نعلم أن الأوائل من الشعراء رسموا رؤسوماً تبعها من بعدهم، وعول عليها من قفا أثرهم، وقل شعر من أشعارهم يخلو من معانٍ صحيحة، وألفاظ فصيحة، وتشبيهات مصيبة، واستعارات عجيبة، ونحن - أطال الله في العز بقاءك، وكتب بالذك أعداك - نضمن رسالتنا هذه مختار ما وقع إلينا من أشعار الجاهلية ومن تبعهم من المخضرمين، ونجنتب أشعار المشاهير لكثرتها في أيدي الناس فلا نذكر منها إلا الشيء اليسير، ولا نخليها من غرر ما رويناه للمُحدثين، ونذكر أشياء من النظائر إذا وردت، والإجازات^(١) إذا عنت، وتكلم على المعاني المخترعة والمتبعة، ولا نجتمع نظائر البيت في مكان واحد، ولا المعنى المسروق في موضع، بل نجعل ذلك في موضع ذكره، وإن كنا نعلم أنك - أدام الله تأييدك - أعلم بما نحمله إليك، ونعرضه عليك، منا . ومن أين لنا قرائح تنتج ما لا تزال تُرِنانه، وتسالنا عنه، من دقيق المعاني وطرائف السرقات . ولقد تأتي لك - أيلك الله - في بيتي أبي تمام والبحثري على غموض المعنى، ويُعده في النوعين من دقة النظر ولطيف الفكر ما لا يتوهم أنه يطرد لسواك، ولا يعن لغيرك، وهو أنك - أيد الله عزك - قلت لنا: من أين أخذ البحتري قوله؟:

رَكِبَا الْقَنَا مِنْ بَعْدِ مَا حَمَلَا الْقَنَا
فِي عَسْكَرٍ مُتَحَامِلٍ فِي عَسْكَرٍ

فلم يكن عندنا فيه شيء غير الاستحسان والتقريظ، فعرقتنا - أيلك الله - أنه مأخوذ من قول أبي تمام:

رَعْتَهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً
رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبَةً

ولا نعرف في النظر أدق من هذا ولا اللطف، إلا أننا نوفي الخدمة حقها بما نتكلفه من الاختيار والكلام على ما ذكرناه، وبالله التوفيق .

(١) الإجازة: أن تُتم مصراع غيرك .

[معنى قتال الأتارب بكره القلوب]

قال المهلهل بن ربيعة:

بكره قلوبنا يأل بكر
لها لون من الهامات جون
ونبكي، حين نذكركم، عليكم
نغاديكم برهفة النصال
وإن كانت تغادي بالصقال
ونقتلكم كأننا لا نبالي

آيات المهلهل هذه هي الأصل في هذا المعنى، ومثله قول الحصين بن الحمّام المرّي:

نفلق هاماً من رجال أعزة
وأخذه بعضهم فقال^(١):
علينا وهم كانوا أعق وأظلماً

قومي هم قتلوا أميم أخي
فلئن عفوت لأعمون جلاً
فلإذا رميت أصابني سهمي
ولئن قتلت لأوهن عظمي

وإلى المعنى الأول نظر أبو تمام في قوله:

قد انثنى بالنايا في أسته
جدلان من ظفر حران أن رجعت
وقد أقام حياركم على اللقم
أظفاره منكم مخضوبة بدم
ومن هذا المعنى أخذ البحتري قوله:

إذا احتريت يوماً ففاضت دماؤها
بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل إلا أنه أرشده إلى المعنى ودل.
تذكرت القرى ففاضت دموعها
قال الغطمش الضبي:

إني وإن كان ابن عمي عاتباً
لمقاذف من دونه وورائه

(١) من قصيدة للحارث بن وعله الجرمي.

اشباه ونظائرم - ٢

ومُفِيدُهُ نَصْرِي وَإِنْ كَانَ أَمْرًا
وإِذَا اكْتَسَى ثَوْبًا جَمِيلًا لَمْ أَقْلُ
قَالَ كَنَازُ بْنُ صُرَيْمٍ الْجَرْمِيُّ:
أَرَدْتُ الْكَيْبَةَ مَقْلُوكَةً
وَلَسْتُ إِذَا كُنْتُ فِي جَانِبِ
قوله «وَقَدْ تَرَكْتُ لِي أَحْسَابَهَا» معنى جيدٌ، ذَكَرَ أَنَّهُ هَزَمَ أَعْدَاءَهُ فَصَارَتْ
مَفَاخِرَهُمْ لَهُ بِهَيْزِمَتِهِ إِيَاهُمْ.

مَتَرَحْرِحًا فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
يَا لَيْتَ أَنْ عَلَيَّ مِثْلَ رِدَائِهِ
وَقَدْ تَرَكْتُ لِي أَحْسَابَهَا
أَذْمُ الْعَشِيرَةَ مُعْتَابَهَا

[معنى عرف الحبيب بالديار]

وَأُنشِدُ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ:
أَرَى كُلَّ أَرْضٍ دَمَتْهَا، وَإِنْ مَضَتْ
أَلَمْ تَعْلَمَنَّ يَا رَبُّ أَنْ رَبُّ دَعْوَةٍ
لِعَمْرُ أَبِي لَيْلَى لَيْسَ هِيَ أَصْبَحَتْ
مِثْلُهُ لِلْبَحْتَرِيِّ:
لِعَمْرِ الرَّسُومِ الدَّارِسَاتِ لَقَدْ غَدَتْ
مِثْلُهُ لِلتَّمِيمِيِّ^(١):
تَضَوَّعَ مَسْكَأً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ
مِثْلُهُ لِأَبِي تَمَامٍ: * لَوْلَا نَسِيمُ تُرَابِهَا لَمْ تُعْرَفْ *
قوله: «يَزْدَادُ طَيْبًا تُرَابُهَا» مِثْلُ قَوْلِ جَمِيلٍ:

(١) هو محمد بن عبد الله بن تمير الشقفي، وكان يشبب بزینب بنت يوسف أخت

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً
يَفُوحُ عَلَيْنَا الْمِسْكُ مِنْهُ وَإِنَّمَا
بِأَبْطَحَ فَيَاحِ بِأَسْفَلِهِ نَخْلُ
بِهِ الْمِسْكُ أَنْ جَرَّتْ بِهِ ذَيْلُهَا جُمْلُ
ولبعضهم:

وَاسْتَوْدَعْتَ نَشْرَهَا الدِّيَارَ فَمَا
وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ قَوْلَهُ:

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَنِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى
وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينِ خَبَّرْتَ أَنَّهُ
يَمُرُّ بِوَادٍ أَنْتَ مِنْهُ قَرِينُ
إِلَيْكُمْ تَلْقَى طَيْبِكُمْ فَيَطِينُ
أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِ فَقَالَ:

فَلَمَّا انْتَهَى قَوْلُ السَّلَامِ وَرَدَّهُ
أَشَدَّ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ^(١):

عَلَى الْمَيْتِ مِنْ بَطْنِ الْجَزِيرَةِ كَلَّمَا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ زَيْنَبُ جَرَّرَتْ
كَانَ تَجَارًا تَحْمِلُ الطَّيْبَ عَرَسُوا
وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ قَدِيمًا وَمُحَدَّثًا. وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى
قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٢):

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شِعْبًا إِلَى بَدَى
حَلَلْتِ بِهَذَا حَلَّةً بَعْدَ حَلَّةٍ
إِلَيَّ وَأَوْطَانِي بِلَادِ سِوَاهُمَا
بِهَذَا فَطَابَ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا
ومثله لأبي نواس:

لِمَنْ دَمِنْ تَزْدَادُ حُسْنُ رُسُومِ
عَلَى طُولِ مَا أَقْوَتَ وَطَيْبِ نَسِيمِ

(١) الأبيات لفروة بن حميضة الأسدي. انظر المؤلف والمختلف: ١٠٥.

(٢) هو كثير بن عبد الرحمن الملقب بكثير عزة.

سويد بن أبي كاهل^(١):

ذَرِنِي أَشْبَ هَمِّي بِرَاحِ فِإِنِّي
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا
هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَعْضِ الطَّالِبِينَ:

إِذَا عَقَلَ الدَّهْرُ لَمْ تَلْقَنِي
وَمَا الحَزْمُ إِلَّا لَدَى نَشْوَةِ
جَهُولًا وَأَجْهَلُ إِمَّا جَهْلُ
تَبَاكَرَ بِالكَاسِ قَبْلَ العَدَلِ

أخذ هذا الشاعر معنى هذين البيتين في تفسير هذين .

الفتال الكلابي:

إِذَا هَبَّتِ الأرواحُ كَانِ أَحِبَّهَا
وَإِنِّي لَيَدْعُونِي إِلَى طَاعَةِ الهوى
كَأَنَّ الشَّمَاهُ الحَوَّ مِنْهُنَّ حَمَلْتُ
بِهِنَّ هُنَّ الدَّاءِ الَّذِي أَنَا عَارِفٌ
وَمَا يَعْرِفُ الأَدْوَاءَ إِلَّا طَبِيبُهَا

أحيحة بن الجلاح الأوسي^(٢):

وَقَدْ عَلِمْتَ سِرَاةَ الأوسِ أَنِّي
وَقَدْ أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ حِصْنًا
لَعَمْرُؤِ أَيُّكَ مَا يُغْنِي مَكَانِي
فَهَلْ مِنْ كَاهِلٍ أودِي إِلَيْهِ
لَو أَنَّ المَرءَ تَنَفَّعَهُ العُقُولُ
بُرَاهِنِي فَيَرَهْنِي بِنَيْهِ
مِنَ الفَتِيانِ أَعْدِلُ لَا أَمِيلُ
لَمَّا يَدْرِي الفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ
إِذَا مَا كَانَ مِنْ قَدَرٍ نَزُولُ
وَأَرَهْنُهُ بِنِي بِمَا أَقُولُ
وَمَا يَدْرِي الغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ

(١) ونسب البيتان مع بيت ثالث إلى بشار بن برد. انظر الوحشيات: ١٤١ .

(٢) من قصيدته المذهبة في جمهرة أشعار العرب .

وما تَدْرِي إِذَا أَجْمَعْتَ أَمْرًا
بِأَيِّ الْأَرْضِ يُدْرِكُكَ الْمَقِيلُ^١
وما تَدْرِي إِذَا أَنْتَجْتَ سَقْبًا
لَأَيِّ النَّاسِ يَتَّقِلُ الْفَصِيلُ^٢
وما تَدْرِي إِذَا أَنْتَجْتَ شَوْلًا
أَتَلْفَحُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْ تُحِيلُ^٣
أَمَّا قَوْلُهُ: «بِأَيِّ الْأَرْضِ يُدْرِكُكَ الْمَقِيلُ» فَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ^(٤):

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾
وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَمَا تَدْرِي إِذَا أَنْتَجْتَ سَقْبًا»، الْبَيْتُ قُرْبٌ مِنْ قَوْلِ
الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ الْيَشْكُرِيِّ^(٥):
لَا تَكْسَعُ الشَّوْلُ بِأَغْبَارِهَا
عَمْرُوبُ بْنُ الْإِطْنَابَةِ:

دَلَّلُ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ، مُشَايِعِي
أَظْلِمُ مَا يُدْرِكُكَ كَمْ مِنْ خَلَّةٍ
قَدَبْتُ^(٦) مَالِكَهَا وَشَارِبُ قَهْوَةٍ
صَهْبَاءُ صَافِيَةٍ تَرَى مَا دُونَهَا
إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا انْتَدَوْا
الْمَانِعِينَ مِنَ الْخَنَا جَارَاتِهِمْ
وَالْخَالِطِينَ فَقَبْرَهُمْ بَغْنِيهِمْ
وَالضَّارِبِينَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بِيضُهُ
قَدْ أَخَذَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَشْيَاءَ، وَأَخَذَ مِنْهُ أَشْيَاءُ، فَمَا أَخَذَ قَوْلُهُ: «دَلَّلُ»

(١) سورة لقمان، الآية (٣٤).

(٢) من قصيدته المفضلية.

(٣) البيت في معلقة عنتره هكذا:

دلل ركابي حيث شئت مشايعي

لسى واحفزه بأمر مبيرم

ركابي حيث شئت . . . البيت ، وهذا البيت بأسره لعتره^(١) إلا أنا قد وجدنا
 مثل هذا في أشعارهم أشياء كثيرة ، فمن ذلك قول امرئ القيس :
 وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون : لا تهلك أسي وتجمل
 ولطرفة بن العبد مثله حرفاً بحرف ، إلا أنه جعل مكان «تجمل» «تجلد» .

[التوارد وهو عندنا سرقة لا محالة]

ومن تصفح أشعار العرب رأى من هذا عجائب . وهم يسمونه التوارد
 وهو عندنا سرقة لا محالة .

ومما أخذه أيضاً قوله : «قدبت مالكها وشارب قهوة» البيت ، وهذا
 بأسره للبيد ، إلا أنهما في عصر واحد ، فلا ندري أيهما أخذ من صاحبه .

وأخذ أيضاً قوله : «صهباء صافية ترى ما دونها قعر الإناء . . .» ، وتمام
 البيت من قول الأعشى :

* تريك القذى من دونها وهي دونه *

إلا أنه لم يأت بمثل كلام الأعشى ولا قاربه .

وأما ما أخذ منه فقوله : «والخالطين غنيهم بفقيرهم» ، والبيت الآخر
 أخذه منه حسان بن ثابت مصالته فقال :

والخالطين غنيهم بفقيرهم والمتعمين على الفقير المرمل
 والضارين الكبش يرق بيضه ضرباً يطيح به بنان المفصل

وهذا أفيح ما يكون من الأخذ ، وليس هو من التوارد الذي يذكرونه

(١) البيت في معلقة عترة هكنا :

ذللك ركابي حيث شئت مشايبي

لبى واحضزه بأمر مبرم

لأن ابن الإطنابة من الأوس، وحسان من الأنصار، وهما من قبيلة واحدة، وكان ابن الإطنابة أقدم من حسان، فلذلك قلنا أخذه منه أخذاً.

قيس بن الخطيم:

فما روضةً من رياضِ القطا كأن المصاييحَ حوذائها
 بأحسن منها ولا مُزنةً دلّوحٌ تُكشّفُ أذجانها
 وعمرةٌ من سرّواتِ النّسا ء تنفّحُ بالمسكِ أردانها
 عمرةٌ التي ذكّرها أمّ النّعمانِ بنِ بشيرِ الأنصاري، وكانت له صحبةٌ.
 وروى بعضهم أن النّعمان بن بشير غاب عن المدينة غيبةً طويلةً، ثم قدّمها،
 فقال: أسمعوني من أغانيكم، فجاؤوه بمغنيةٍ فاندفعت تغني:

أجبدٌ بعمرةٍ غنيانها أتَهجرُ أمّ شأننا شأنها
 وعمرةٌ من سرّواتِ النّسا ء تنفّحُ بالمسكِ أردانها
 فأومى إليها جماعةٌ من حضر المجلس أن تخفي. وفتن النّعمان
 لذلك، فقال: دعوها فما قالت إلا جميلاً.

[من شعر القتال الكلابي]

وقال القتال الكلابي:

لقد ولدتُ عوفَ الطعانِ ومالكاً وعمرو العليّ والحارثَ المنتجياً
 رجالٌ بأيديها دماءٌ ونائلٌ يكادُ على الأعداءِ أن يتحلّباً
 ومن هذا أخذ البُحْثريُّ قوله:

وصاعقةٌ في كفهٍ ينكفي بها على أرؤسِ الأبطالِ خمسُ سحائبِ
 يكادُ الندى منها يفيضُ على العدى مع السيفِ في ثنبيّ قناً وقواضبِ

والبحتريُّ، وإن كان أخذ المعنى وأتى به في بيتين، فقد جَوَّدَ وأحسَّنَ،
 وفاقَ على وفِاقِ الأوَّلِ بما أبدعَ في المعنى الأوَّلِ وزاد، لأَنَّهُ صَيَّرَ السَّيْفَ
 صَاعِقَةً، فيجوز أن يكون أرادَ حديدَةً من صاعقة، على ما يحكي بعضُ الناسِ في
 الصواعق، ويجوز أن يكون شبهَ السيفِ بالصاعقةِ لحدِّته، وأنَّهُ يَتَلَفُّ ما مرَّ به،
 ثم ذكر أنه ينكفي به على أرؤس الأبطالِ خمسُ سحائبٍ، يعني أصابعَ المدوحِ.
 ومن النادر في هذا البيت أنه صيَّرَ السحائبَ مع الصاعقة، إذ كانا من
 جنس واحد.

وتقول الفلاسفةُ: إن الصواعق تكون مع السحائبِ الصَّيْفِيَّةِ دون
 الأمطارِ المطبقة في الشتاء.

ومأ يَقُوِّي هذا القول قولُ ليديريثي أخاه أربدَ وقد أحرقتَه الصاعقةُ:

أخشى على أربدِ الختوفِ ولا أرهبُ نوءَ السَّمَاكِ والأسَدِ

[الحلق في الشعر، وأخذ معانيه]

وهذان الكوكبان من منازل القمر، مَطْلَعُهُما في آخر الربيع وأوَّلِ
 الصيف. وهذا هو الحذقُ في الشعر وأخذ معانيه، ومن أخذ المعنى هذا الأخذُ
 فهو أحقُّ به ممن ابتدعه. وقد شرحنا أمر المعاني شرحاً شافياً في رسالتنا التي
 ذكرنا فيها شعر أبي نواس، فلذلك لم نشرح ههنا إلا اليسير. ويعدُّ وقبل فقد
 سبق البحتريُّ جميع الشعراء في هذا المعنى حسناً وملاحةً وصحةً وفصاحةً.

وقال حميدُ بن ثورِ الهلاليِّ، ووجهُ صاحِبينَ له إلى عشيقته فأوصاهما
 وصيةً ما فوقها زيادة، وعرفهُما من التلطفِ والحيلِ أموراً ما أتى أحدٌ بمثلها ولا
 قارب، وهو:

لَتَسْتَبِيحُنَا مَا قَدْ لَقَيْتُ وَتَعَلَّمَا
 بِهَا يَحْتَمِلُ يَوْمًا مِنْ اللَّهِ مَاثِمًا
 أَبْثَكُمَا مِنْهُ الْحَدِيثَ الْمَكْتُمَا
 إِلَى آلِ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ سَلْمَا
 وَجَاوَزْتُمَا الْحَيِّينَ نَهْدًا وَخُتَعَمَا:
 أَبَوَا أَنْ يُرْفِقُوا فِي الْهَزَاهِرِ مَحْجَمَا
 وَلَا تَحْمِلَا إِلَّا زِنَادًا وَأَسْنَهُمَا
 وَإِنْ خَفْتُمَا أَنْ تُعْرَفَا فَتَلْتُمَا
 وَلَا تُبْدِيَا سِرًّا لِقَوْمٍ فَيُعَلَّمَا
 رِكَابٌ تَرَكْنَاهَا بِتَلِيكِ قَوْمًا
 وَلَا تَسْتَلْجِبَا صَفْقَ بَيْعٍ فَتَلْزَمَا
 وَأَخْلَيْتُمَا مَا شِئْتُمَا فَتَكَلَّمَا
 لَنَا قَدْ تَرَكْتَ الْقَلْبَ مِنْهُ مَتِيمًا
 إِلَيْكَ فَلِمَ نَبْلُغُكَ إِلَّا تَجَشُّمًا
 إِلَيْهَا وَلِمَا يَجْعَلُ الْأَمْرَ مُبْرَمًا
 أَسَافًا مِنَ الْمَالِ التَّلَادِ وَأَعْدَمًا

خَلِيلِي إِنِّي مُشْتَكٍ مَا أَصَابَنِي
 أَمْتِكُمَا إِنْ الْأَمَانَةَ مَنْ يَحْنُ
 فَلَا تُفْشِيَا سِرًّا وَلَا تَخْذُلَا أَحَا
 لِتَخْذِلِي، بَارِكَ اللَّهُ فِيكُمَا،
 وَقَوْلًا، إِذَا وَافَيْتُمَا أَرْضَ عَامِرٍ
 نَزِيعَانَ مِنْ جَرَمِ بْنِ رَبَّانٍ أَنَّهُمْ
 وَسِيرًا عَلَى نَضْوِيكُمَا وَتَقْصَدَا
 وَإِنْ كَانَ لَيْلًا فَالْوَيْبَا نَسِيكُمَا
 وَزَادًا قَلِيلًا خَفَّاهُ عَلَيْكُمَا
 وَقَوْلًا: خَرَجْنَا تَاجِرِينَ فَبَاطَأَتْ
 وَمُدًّا لَهُمْ فِي السَّوْمِ حَتَّى تَمَكَّنَا
 فَإِنْ أَنْتُمَا اطْمَأْنَنْتُمَا وَأَمِئْتُمَا
 وَقَوْلًا لَهَا: مَا تَأْمُرِينَ بِصَاحِبِ
 أَبِي نِي لَنَا أَنَا رَحَلْنَا مَطِينًا
 فِجَاءًا وَلِمَا يَقْضِيَا لِي حَاجَةً
 فَمَا لَهُمَا مِنْ مُرْسَلِينَ لِحَاجَةٍ

[معنى الهجاء]

أما قوله «وقولا إذا وافيتما» البيت وقوله «نزيعان» البيت بعده فمن
 طريف الهجاء ودقيقه ومُضْهٍ؛ وذلك أنه ذكر قوماً فقال: هم لا يقتلون ولا
 يقتلون فليس أحد من العرب يطلبهم بوترٍ ولا طائفة، فلذلك أمر صاحبيه

بالانتساب إليهم لثلاثاً يذكرها غيرهم من القبائل فيكون الذي يسألها عن نسبها يطلب تلك القبيلة التي ذكرها بطائفة فيقتلها. وهذا من غريب الهجاء ويديعه. وشبيه به قول الآخر^(١):

إذا الله عادي أهل لؤم ودقة فعادي بني العجلان رهط ابن مقبل
فئيلة لا يغدرون بدممة ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء إلا عشيئة إذا صدر الوراد عن كل منهل

يريد أنهم لا يستطيعون أن يغدروا ولا يظلموا أحداً ولا يردون الماء حتى يصدر الناس عنه لضعفهم وذلتهم، وهذا مثل قول بشي شعيب لموسى عليهما السلام وقد سألهما عن وقوفهما والناس يسقون، وقد قالت له: «لأ نسقي حتى يُصدر الرعاء» فهؤلاء نساء وحقهم الضعف عن مقاومة الرجال. وشبيه بهذا المعنى قول الأعجم^(٢):

ويشكر لا تستطيع الوفاء وتعجز يشكر أن تغدراً

فهذا ذكر أن الغدر في طباعهم إلا أنهم يعجزون عنه لذلتهم وقهر الناس لهم. وذكر أن بني العجلان استعدوا عمر بن الخطاب على الذي هجاهم بالشعر الذي ذكرناه وقالوا هجانا هجاء ما هجيت العرب بأقبح منه. فقال لهم: أنشدوني ما قال فيكم، فأنشده:

فئيلة لا يغدرون بدممة ولا يظلمون الناس حبة خردل
فقال: ليت الخطاب وأهل بيته وجميع بني عدي بن كعب بهذه الصفة، لا يغدرون ولا يظلمون، ما أرى بأساً، هيه. فقالوا:

ولا يردون الماء إلا عشيئة إذا صدر الوراد عن كل منهل
فقال: ذلك أصمى للماء وأجمل له، ما أرى بأساً ولا على قائل هذا

(١) هو النجاشي الحارثي.

(٢) هو زياد الأعجم.

الشعر عقوبة ولم يُعْدهم عليه . وعُمر كان أعلم بالشعر من قائله ولكنه أراد بهذا معنى . وأما قول حميد بعد وصيته لصاحبه بما ذكرناه «ومدأ لهم في السوم» البيت [فنهاية في التيقظ] .

و[أماً] قوله وقد عاد إليه رسوله بغير قضاء حاجة «فما لهما من مرسلين» البيت فقد جود لهما إذ كانا يستوجبان أضعاف ما دعا عليهما به لتقصيرهما مع وصيته إياهما واحتياطه في توجيههما . ولشتان بينهما وبين صاحبة ابن أبي ربيعة التي يقول فيها :

وبعثنا طبة عالمة تخلط الجد مزارا باللعب
ترفع الصوت إذا لانت لها وتراخي عند سورات الغضب

هذه بلغت بغير وصية كل ما في نفس صاحبها، وهذان لم يبلغا، مع وصية صاحبهما، شيئاً.

[معنى «كفى بالسلامة داء»]

ولحميد في هذا الشعر بيت قد أكثرت الشعراء في القديم والمحدث في معناه فما فيهم أحد أتى به إلا دون بيت حميد، وهو قوله :

أرى بصري قد خانني بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلماً

هذا بيت قد جمع مع صحة المعنى جودة اللفظ وحسن التقسيم وملاحة الكلام، وإن كان أخذه من قبله فقد زاد عليه لأن النمر بن تولب أول من أتى بهذا المعنى في قوله :

ودعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحنني فإذا السلامة داء

وهذا البيت وإن كان الأول فبيت حميد أحسن كلاماً وأجود وصفاً . وروي أن ابن عباس سمع منشداً ينشد بيت النمر هذا فقال : لا إله إلا الله ، ما أعجب هذا ! كلام العرب متشبه ببعضه ببعض . قال النبي ﷺ : «لو لم يؤكل

بابن آدم غير الصحة والسلامة لأوشكا أن يتلفاً، فالنبي ﷺ أتى بهذا المعنى منشوراً وأتى به الشاعر منظوماً. وقد ذكر جماعة من الشعراء المتقدمين والمحدثين هذا المعنى فبعضهم قارب وبعضهم قصر. والأجود من كل ما قيل في هذا الباب بيت حميد. وبعض المتقدمين فيه:

ويهورى الفتى طول السلامة جاهاً فكيف يرى طول السلامة يفعلُ

هذا وإن كان قائله متقدماً فهو دون ما ذكرنا، لأنه لم يبين المعنى كما بينه غيره، ولهذا قيل: المعنى لمن اخترعه، فإن زاد [عليه] الأخذ له فهو أحقُّ به، وإن قصر عنه فإنما فضح نفسه. وقد جود أبو العتاهية هذا المعنى في قوله:

نهوى من الدنيا زيادتها وزيادة الدنيا هي النقصُ

وقال أيضاً:

* أسرع في نقص امرئٍ تمامه *

وفي مثله يقول الآخر:

وتحسب أن النقص فيك زيادة وأنت إلى النقصان حين تزيد

ولو ذهبنا إلى استغراق جميع ما في هذا الباب لطلال واتسع.

وقال حميد أيضاً:

ليالي أبصار الغواني وسمعها إلسي وإذ ريحي لهن جنوبُ

وإذ ما يقول الناس شيء مهونٌ علي وإذ غصن الشباب رطيبُ

فلا يبعد الله الشباب وقولنا: إذا ما صبونا صبوة ستوبُ

فإن الذي يشفيك ممّا تظمنت ضلوعك من وجد بها لطيبُ

وإن الذي منك أن تسعف النوى بها بعد أيام الصبي الكذوبُ

أما قوله في ذكر النساء «وإذ ريحي لهن جنوبُ» فإن الجنوب عند العرب أحمدٌ من الشمال لأنها تجلب المطر ويكون معها السحاب، والشمال تُقطع السحاب ولا يكون مع أكثرها مطر، ولذلك فضّلوا الجنوب على الشمال.

وأما قوله :

فلا يُبعد الله الشبابَ وقولنا : إذا ما صبونا صبوةً ستتوبُ

فمن أملح الكلام وأطرفه وأرقه ولو لم يكن فضائل الشباب غير ما ذكر الشاعر في هذا البيت لكفاه ، ولم نعلم أحدا أتى بأحسن من هذا المعنى واللفظ في تذكر عهد الصبا وأيام البطالة . وشبيهه بقوله «إذا ما صبونا» البيت قول بعضهم^(١) :

أنا بها حمراء يحلف أنها طيخُ فصدَّقناه وهو كذوبُ
فهل هي إلا ليلة غاب نحسها أواقع فيها الذنب ثم أتوبُ
ومثله قول أبي نواس :

لو شئت لم نبرح من القفصِ نشرها حمراء كالخُصِّ
نسرق هذا اليوم من ربنا وإنما يُعفى عن اللصِّ
وشبيهه به بيت قرأناه في هيكل دير متى وهو :

سقنا يا غلام في هيكل الديِّ شراباً يختاره الرهبانُ
هاتها كالعقيق حمراء وليجِدْ هَدْ علينا بجهدهِ رمضانُ
هو يومٌ مكان يومٍ ويعفوال له عنّا فربُّنا منانُ

[من شعر جِران العود النُميري]

وقال جِران العود النُميري ، ولا يعرف في نسيب الأعراب وغزلهم أحسن ألفاظاً من هذه القصيدة ولا أملح معاني ، والمختار منها قوله :

(١) هما في العقد ٤/٣١٩ لعبد الله بن القعقاع باختلاف وفي القالي ٥٩/٢ لأعرابي «دخل على بعض الأمراء وهو يشرب فجعل يحدثه وينشله ثم سقاه ، فلما شربها قال : هي والله أيها الأمير ، أي هي الحمر ، فقال : كلا ، إنها زبيب وعسل ، فلما طرب قال له : قل فيهما ، فقال البيتين» .

حُمِدتَ لَنَا حَتَّى تَمَّتْكَ بَعْضُنَا
 وَفِيكَ إِذَا لَاقَيْتَنَا عَجْرَفِيَّةٌ
 فَمَوْعِدُكَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنَ أَهْلِنَا
 وَيَكْفِيكَ آثَارُنَا حِينَ نَلْتَقِي
 فَصُبْحٌ لَمْ يُشْعَرْ بِنَا غَيْرَ أَنَّهُ
 فَأَقْبَلْنَا يَمْشِينَ الْهُوَيْنَا تَهَادِيَا
 فَلَمَّا هَبَطْنَا السَّهْلَ وَاحْتَلْنَا حَيْلَةَ
 حَمَلْنَا جِرَانَ الْعُودِ حَتَّى وَضَعْنَاهُ
 فَبِتْنَا قُعُودًا وَالْقُلُوبُ كَأَنَّهَا
 عَلَيْنَا النَّدَى طُورًا وَطُورًا يَرِشُنَا
 يَنَازِعَتْنَا لَذًا رَحِيمًا كَأَنَّهَا
 رَفِيقُ الْحَوَاشِي لَوْ تَسْمَعُ رَاهِبٌ

وَقَلْنَا أَخُو هَزَلٍ عَنِ الْجَدِّ يَصْدَفُ
 مَرَارًا وَمَا نَهَوَى الَّذِي يَتَعَجَّرُ
 وَأَهْلِكَ حَتَّى نَسْمَعَ الدِّيكَ يَهْتَفُ
 ذُبُولٌ نُعْفِيهَا بِهِنَّ وَمُطْرَفٌ
 عَلَى كُلِّ حَالٍ يَحْلِفُونَ وَنَحْلِفُ
 قِصَارُ الْخَطَا مِنْهُنَّ رَابٍ وَمَرْجَفُ
 وَمِنْ حَيْلَةِ الْإِنْسَانِ مَا يَتَخَوَّفُ
 بَعْلِيَاءَ فِي أَرْجَائِهَا الْجِنَّ تُعْزِفُ
 قَطَا شُرَعَ الْأَشْرَاقِ مِمَّا نَخَوَّفُ
 رِذَاذُ سُرَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَوْطَفُ
 عَوَائِرُ مِنْ قَطْرٍ حُدَاهُنَّ صَيِّفُ
 بَيْطَانٌ قَوْلًا مِثْلَهُ ظَلَّ يَرَجُفُ

وقوله يصف قولها له «وفيك إذا لاقيتنا عجرفية» البيت، يقال إن النساء يملن إلى من كانت فيه دعاية ولهو ولا يملن إلى غير ذلك، فذكر جران العود عنهن أنهم قلن له: لست على ما وُصفت لنا لأن فيك عجرفية، وقد وُصفت لنا بغيرها حتى تمنيناك وما نحب الذي يتعجرف. ويذكر أن كثيراً أنشد بعض نساء الأشراف قوله:

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أُجَلِّلُنَّ مَجْلِسِي . وَأَعْرَضُنَّ عَنْهُ هَيْبَةً لَا تَجْهُمَا
 يُحَاذِرُنَّ مِنِّي نَبْوَةً قَدْ عَرَفْتَهَا قَدِيمًا فَمَا يَضْحَكُنَّ إِلَّا تَسْمُمَا

فَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ أَبِي جُمُعَةَ، أَبْهَذَا الْقَوْلِ تَدْعِي الْغَزَلَ؟ وَاللَّهِ مَا نَالَ
 وَصَلْنَا وَحَظِي بُوْدُنَا إِلَّا مِنْ يَجْرِي مَعَنَا كَمَا نُرِيدُ وَيَجْعَلُ الْغِيَّ، إِذَا أَرَدْنَا،
 رَشْدًا. قُمْ لَعْنِكَ اللَّهُ، فِقَامٌ مَقْطَعًا. وَإِلَى قَوْلِهَا نَظَرَ الْبَحْتَرِيُّ فَقَالَ:

وَلَا يُؤَدِّي إِلَى الْمَلَّاحِ هَوَى
 مِنْ لَا يَرَى أَنْ غِيَّهُ رَشْدُ

وقوله «ويكفيك آثار لنا حين نلتقي» البيت، معنى مليح، وقد اشترك فيه جماعة من الشعراء فأوّل ذلك امرؤ القيس في قوله:

فَقُمْتُ بِهَا أَمْشِي تَجْرُ وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مَرَطٍ مُرْحَلٍ
وقال ابن المعتز:

فَقُمْتُ أَفْرَشَ خَدِي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذَلًّا وَأَسْحَبَ أَكْمَامًا عَلَى الْأَثْرِ
ولابن المعتز في هذا المعنى زيادة حسنة على من تقدمه.

وقوله «فصبح لم يشعر» البيت، كلام طريف وكذب مليح لأنه قال لا بد من تهمة تلحقنا فنحلف أنا لم نفعل ويحلفون أنا قد فعلنا.

وقوله «فأقبلن يمشين» البيت من أحسن ما يكون في صفة المشي.

[معنى مشي المرأة]

وقد أكثرت الشعراء في هذا الباب، فمن مليحه قول بعضهم^(١):

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا الْبَطَاحِ تَأْوِدًا قُبَّ الْبَطُونِ رَوَاجِحِ الْأَكْفَالِ
وإنما شبهوا مشي المرأة بمشي القطة لأن فيها سرعةً وتأوداً
وقال المنخل:

وَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشِيَ الْقَطَا إِلَى الْغَدِيرِ

وللأعشى في المشي شيء حسن وأشياء يُفرط فيها. فمن الجيد قوله:

غُرَاءُ فُرْعَاءُ مُصْقُولُ عَوَارِضُهَا. تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوُحْيُ الْوَجِلُ
كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَارَيْتُ وَلَا عَجَلُ

[معنى حديث النساء]

وأما قوله في ذكر الحديث: «ينازعتنا لئلاً» والذي بعده فهو حسن نادر،

إلا أن الشعراء في الحديث أكثروا من جيده؛ ومن حسنه قول القطامي:

(١) نسب البيت إلى الكميّ بن زيد، وإلى الكميّ بن معروف الأسديّين.

فهنّ يَنْبِذْنَ من قول يُصِيبُ بِهِ
مواقع الماءِ من ذي الغلّةِ الصّادِي
يقتلننا بحديث ليس يفهمه
من يتّقينَ ولا مكنونهُ بادي

ومن ملبح هذا المعنى قولُ بشار:

وحديثٍ كأنه قطع الروّ
ضِ زَهْتَهُ الصّفراءُ والحمرَاءُ

ذكر أنّ حديثها مثل الرياض في ملاحظتها وأنه يجمع جداً وهزلاً.

وقال بشار أيضاً:

ولها مَضْحَكٌ كَتَوَرِّ الأفاحي
وحديث كالوشني وشني البرودِ

وله أيضاً:

دعّتي حين شِيتُ إلى المعاصي
محاسن زائر كالريم غَضُّ

كان كلامه يوم التقينا
رميَّ خَدًّا^(١) في طولي وعرضي

وله أيضاً:

حوراء إن نظرت إليك سقتك بالعينين خمرأ

وكان رجع حديثها قطع الرياض كسبين زهراً

وقال بعض ولد أسماء بن خارجة الفزاري:

وحديث أَلْدُهُ وهو مما يونق السامعين، يورزنُ وورنا

منطق صائب وتلحن أحياناً وأحلى الحديث ما كان لعننا

ذكر أنها تحدّث بحديث يفهم ثم تخشى [ثم من يحضر] من الوشاة

فتلحن لهم بمعنى يعرفه وإشارة يقف^(٢) عليها لا يعرفها غيرها وغيره. قال الله

تعالى: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾، أي في معنى القول، يقال هذا لحن بني

فلان: أي لغة بني فلان.

(١) الرمي: سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع.

(٢) اللحن، هنا: الكناية عن الشيء والتعريض بذكره.

ومن أجود ما قيل في هذا الحديث قديماً وحديثاً قولُ ابنِ الرومي:

وحديثُها السُّحرُ الحلال لو أنه لم يجنِّ قتلَ المسلم المتحرِّرُ
إن طال لم يملأ وإن هي أوجزتْ. ودَّ المحدثُ أنها لم توجزِ
شركُ القلوب ونزهة ما مثلها للمطمئنِّ وعُقلةُ المُستوفزِ
هذا نهاية ما قيل في هذا الباب. وقد تناول ابن الرومي قوله «ودَّ
المحدثُ أنها لم توجزِ» من بعض المتقدمين^(١)، وهو قوله:

من الخفِراتِ البيض ودَّ جليسُها، إذا ما قُضتْ أحداثُها، أن تعيدها
ومن مליح ما قيل في الحديث أيضاً قول بعض الأعراب:

وحديثها كالغيث يسمعه راعي سِنين تتسابعَتْ جدباً
فأصاخَ يَرجو أن يكونَ حياً ويقول من فرَح: هيا رباً

[من شعر مسكين الدارمي]

وقال مسكين الدارمي:

ونارِ دعوتِ المعتفين بضوئها فباتوا عليها أو هدَّيتُ بها سفراً
تضرمُ في ليل التمام وقد بدتْ هوادي نجوم الليل تحسبُها جمراً
وإني امرؤ لا أَلْفَ البيتِ قاعداً إلى جنبِ عرسي لا أفارُقُها شبراً
ولا مُقسِّمٌ لا تَبْرَحُ الدهرَ بيتها لأجعله قبل المماتِ لها قبراً
إذا هي لم تُحصنِ أمامَ فنائِها فليس يُنجِّيها بنائي لها قَصراً
ولا حاملِ ظنِّي ولا قالِ قائلٍ على غيرِةٍ حتى أحيطَ به خُبراً
وهبني امرأ راعيتُ ما دُمْتُ شاهداً فكيف إذا ما غبتُ من بيتها شهراً

(١) هو كثير عزة.

[معنى قلة الغيرة]

وأما أبياته في ذكر قلة الغيرة، فقد ردّ مثلها في موضع آخر من شعره وهو:

ألا أيُّها الغائر المستشيطُ عـلام تَغَارُ إذا لم تُعْرَ
فما خَيْرُ عِرْسٍ إذا خِفْتَهَا وما خَيْرُ بَيْتٍ إذا لم يُزْرَ
تَغَارُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وهل يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظْرُ
فإِنِّي سَأَخْلِي لَهَا بَيْتَهَا فَتَحْفَظْ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرِ

وما نعلم أن أحداً من الشعراء سهل ترك الغيرة غير هذا. ونظنه كأنه يقول بالإباحة، وإلا فأى شيء دعاه إلى هذا القول الذي يأنف منه الأحرار.

ولشئان بين مسكين الدارمي في إغفاله تفقد امرأته وتركه الغيرة عليها وبين الذي يقول:

إذا كنت ذا عِرْسٍ تَضِنُّ بِوَصْلِهَا فلا تُخْرِجْهَا تَبْتَغِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ
ولا تُدْخِلِ الْحَمَامَ عِرْسَكَ، أَنِّي أخاف من الْحَمَامِ قَاصِمَةَ الظَّهْرِ

وإلى هذا أشار أبو علي البصير في قوله:

دهتك بعلّة الحمّام خشفُ ومال بها الطريق إلى سعيدِ
أرى أخبار بيتك عنك تخفى فكيف وكبت أعمال البريدِ
ولمسكين الدارمي أيضاً:

أرى كلَّ رِيحٍ سَوفَ تَسْكُنُ مُرَّةً وكلَّ سَماءٍ لا مَحَالَةَ تُقْلَعُ
وَإِنِّي وَالْأَضْيَافَ فِي بُرْدَةٍ مَعاً إذا مات نصفُ الشمسِ والنصفُ يَنْزَعُ
أحدُهُ إِنَّ الحَدِيثَ مِنَ القَرَى وتَعْرِفُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوفَ يَهْجَعُ

قوله: «إني والأضياف في بردة معاً البيت، حسن جداً، وذلك أن

البرد في الشتاء أشدّ ما يكون طرفي النهار، فهو قوله: «إذا مات نصف الشمس» أراد آخر النهار وقد غاب نصف الشمس وهو الذي مات، والنصف الذي ينزع هو الذي بقي منها، وهذا استعارة في نهاية الحسن والجودة.

[مضاحكة الضيف ومحادثته]

وأما قوله: «أحدته إن الحديث من القرى» جيد حسن، وتام الكرم عندهم مضاحكة الضيف ومحادثته وطلاقة الوجه. ومن أمثالهم: إن الحديث من القرى طرف^(١). وقال الآخر^(١):

أصاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب
وله أيضاً:

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضرّ جار ألي أجاوره أن لا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ما جارتني ظهرت حتى يغيب جارتني الخدر

ذكر بعض الرواة أن امرأة مسكين خاصمته ونسبته إلى البخل، فقيل لها: أليس هو القائل:

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تنزل القدر؟

قالت: صدق، النار والقدر لجاره، وإليه تنزل قبله لأنه صاحبها؛ وهو أيضاً لا يشعل ناراً مخافة أن يراها ضيفاً فيأتيها، فعجب كل من حضر لتأنيها وحسن جوابها.

(١) هو مسكين نفسه.

وله أيضاً:

فما زال لي مثل الغزال وسابحٌ
وأقسامهمُ للمال في القلِّ والغنى
وخطارة غبِّ السرى من عيالها
ويُدفع عنهنَّ السَّئينَ احتيالياً
فهذا لأيام الطراد وهذه
للّهوي وهذي يُسرتُ لارتحالياً
ولاني لأستحيي أخي أن أرى له
عليَّ من الحقِّ الذي لا يرى لياً

قوله: «فهذا لأيام الطراد...» البيت، حسن التقسيم محكم الصنعة. ذكر أن فرسه لأيام الحرب، وجاريتَه لأيام السلم، وناقته لرحله. وهذا شبيه بقول رجل سافر عن امرأته، فاشتري جارية وفسراً، وأقام بالبلد الذي سافر إليه، فكتبت إليه امرأته تستبطنه، فكتب إليها:

ألا أفرها مني السلام وقل لها
غنيتُ وأغتنني الجمانةُ والوردُ
شديد مناطِ المنكبين إذا جرى
ويضاء مبهاجٌ يزينها العقدُ
فهذا لأيام الطراد وهذه
لحاجة نفسي حين ينصرف الجندُ

هذا يقرب من شعر مسكين الذي قدّمنا ذكره إلا أنه أوجد من هذا، أن مسكيناً ذكر ثلاثة أشياء في بيت واحد، وهذا ذكر شيئين في ثلاثة أبيات فيينهما تفاوت بعيد.

وقال الحارث بن عوف الغامدي:

فإن أكبرُ فإني في لداتي
وعاقبةُ الأصاغرِ أن يشيبوا
وما كبرتُ فائدتي بغدري
كفاني في الفوائد ما يطيبُ
أبي لي ذاكمُ خالي وعمي
وفضلُ المال والصن: الرحيبُ

قوله: «فإن أكبر فإني في لداتي» في نهاية التعزّي والتسلي عن الشباب. يريد: إني ما أصبتُ بالشيب وحدي فأغتم، ولكن قد أصبتُ مع غيري، فهذا يسلي عني. ومثل هذا ما أنشدنا ابن دريد لبعض الأعراب:

أنحن ذمناها أم الناس كلهم
وقد يجزع الإنسان يُنكبُ وحده
سُقُوا شربهم منها برتقٍ مُكدرٍ
وإن تكن البلوى مع الناس يصير

وقال الحارث بن مریم الوادعي:

فما نفع روض ذي أفاح وحنوة
ولا ریح فغوى أو خزامى وحنوة
وذي ورقٍ من قلّة الحزنِ عازبٍ
أرشتُ عليه سارياتُ السحائبِ
مع اللّيلِ وسنّى جانباً بعد جانبٍ
بأطيب من فيها إذا ما تقلبتُ

وقال الحشيش بن عبد الله الوادعي:

إني إذا ما خفتم ورغبتُم
عجباً عجبت لمن يدنسُ عرضه
فأنا الحبيبُ لديكم والمصطفى
ويصون حلتَه ويحميها الأذى
والعرضُ بعد هلاكه لا يشتري
الثوب يبلَى ثم يُشرى غيره

ابن الدُمينة:

أياربُ أدعوك العشيّة مُخلصاً
قضيت لها بالبخل ثم ابتليتها
لتعفو عن نفس كثيرٍ ذنوبها
خليلي ما من حوبة تريانها
بحب الغواني، ثم أنت حسيبها
أهمُّ بجذّ الحبل ثم يردني
بجسمي إلا أم عمرو طيبها
وبرد ثناياها إذا ما تغورتُ
تذكرُ رياً أم عمرو وطيبها
وقد زعموا أن الرياح، إذا جرت
نجوم يشفّ الواجدين غيوبها
وقد كذبوا، لا بل يزيد صباةً
يماينةً، يشفي المحب ديبها
فيا حبذا الأعراض طاب مقيلاها
إذا كان من نحو الحبيب هبوبها
إذا مسّها قطر وهبت جنوبها

أما قوله: «قضيت لها بالبخل...» البيت، فإليه نظر القائل (١):

(١) هو يزيد بن عثمان.

أيارب تَخْلُقُ مَا تَخْلُقُ وَتَنْهَى عِبَادَكَ أَنْ يَعْشَقُوا
وأحسن منه قول الحسن المشرك الموصلي في هذا المعنى ، وبه لُقِّبَ
المشرك :

أيارب تَخْلُقُ أَقْمَارَ لَيْلٍ وَقَضبانَ بَانَ وَكشبانَ رَمَلٍ
وَخشفانَ إِنْسٍ تَصِيدُ الْقُلُوبَ بِأَلْفَاظِ سِحْرِ وَأَلْحَاظِ قَتْلِ
وَتُبْدِعُ فِي كُلِّ خَدِّ بُورِدٍ وَفِي كُلِّ قَدِّ بِشَكْلِ وَدَلِّ
وَتَنْهَى عِبَادَكَ أَنْ يَعْشَقُوا فَيَا حَاكِمِ الْحُكْمِ ، ذَا حُكْمٍ عَدَلٍ ؟

وقوله : «وقد زعموا أن الرياح إذا جرت» البيت ، والبيت الذي يليه
ضد ما ذكره كثير من الشعراء لأن بعضهم يقول (١) :

إِذَا رِيحٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تَسَمَّتْ وَجَدتْ لَسْرَاهَا عَلَى كَبْدِي بَرْدًا
عَلَى كَبْدِي قَدْ كَادَ يُبْدِي بِهَا الْهُوَى صَدُوعًا وَبَعْضَ الْقَوْمِ يَحْسِبُنِي جَلْدًا
وقال آخر :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ بِهِ آلٌ مَيِّ هَاجَ وَجَدِي هَبُوبُهَا
قَرِيبَةً عَهْدَ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
قيل : قوله يشبه قول المعجنون :

أَلَا يَأْصِبَا نَجْدٍ مَتَى هَجَّتِ مِنْ نَجْدٍ لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجُدًّا عَلَى وَجْدٍ

وهذان المعنيان في أشعارهم كثير جدًا .

عباد بن أنف الكلب الصيداوي من بني أسد :

دَفَعْنَا طَرِيفًا بِأَطْرَافِنَا وَبِالرَّاحِ عَنَّا ، وَلَمْ تَدْفَعُونَا
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الَّتِي حَاوَكُوا وَخَفِنَا ، وَأَحْرَبَهَا ، أَنْ تَكُونَا

(١) هو علي بن علقمة .

فإن كان فيكم لكم ثروة فإننا عديدٌ وإن كان دُوننا
 وإنا إذا قابلتُنَا السيف وقد هاجت الحرب ضرباً ثبينَا
 وطاح الرئيس وهادى اللّواء ولا تأكل الحرب إلا سمينَا
 وأعصم بالصبر أهل البلاء فإننا هناك كما تعلمونا
 قوله «دفعنا طرفياً . . .» يقول دفعنا حربهم بكل ما نقدر عليه ، وهو
 مثل قولهم : دفعته عني بالراحة فلم يندفع .

وقوله «فلم يبق إلا التي حاولوا» البيت يريد أنهم لا يندفعون عنا وإن
 احتملناهم حتى يقع بيننا الحرب . ثم خاطبهم فقال : إنكم وإن كانت لكم
 ثروة وعدد فإننا نحن أيضاً عديد وإن كان دونا ، وهذا مثل قول الآخر (١) :
 أبأ خراشنة ، إماما كنت ذا نقرٍ فإن قومي لم تأكلهم الضبعُ
 ومثله (٢) :

* فقلت لها : إن الكرام قليل *

ثم ذكر الحرب وإن الرئيس وحامل اللّواء يُقتلان لأتھما مشهوران ،
 والحرب لا تأكل إلا السمين ، وهذه استعارة حسنة ، يريد أن الفارس المشهور
 يقصده أعداؤه حتى يُقتل بشهرته ووضوح موضعه في الحرب . ورؤي عن
 الحسن أنه قال : لو نادى مناد أن رجلاً من أهل الأرض في النار ، لحفت أن
 أكون ذلك الرجل .

قال عمرو بن كلثوم :

معاذ الإله أن تنوح ساؤنا على هالك أو أن تضحج من القتل
 قرع السيوف بالسيوف أحلنا بأرض بسراح ذي أراك وذي أثل

(١) هو عباس بن مرداس .

(٢) هو للسموأل .

فَمَا أَبَقْتَ أَيَّامَ مِلِّمَالٍ عِنْدَنَا سِوَى جِذْمِ أَدْوَادٍ تُعِينُ عَلَى الْأَزْلِ
ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا وَأَقْرَاتُنَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْعَقْلِ
أَمَا قَوْلُهُ «مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نَسَاؤُنَا» الْبَيْتَ فَقَدْ تَنَاوَلَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
بِأَسْرِهِ فَقَالَ :

مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نَسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ مِنَّا وَإِنْ قُصِمَ الظَّهْرُ
وقوله «فَمَا أَبَقْتَ أَيَّامَ . . .» الْبَيْتِ وَالَّذِي يَلِيهِ ، فَقَدْ جَوَّدَ فِيمَا ذَكَرَ
وَأَحْسَنَ الْقِسْمَةَ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ إِذْ جَعَلَ جَمَالَهُمْ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ ، فَقَسَمَ
يُصْرَفُ فِي أَثْمَانِ الْخَيْلِ إِذْ كَانَتْ حَصُونَهُمْ الَّتِي يَلْجَأُونَ إِلَيْهَا وَيَبْلِغُونَ بِهَا
الْغَايَاتِ وَيَدْرِكُونَ بِهَا التَّرَاتِ ، وَقَسَمَ فِي أَزْوَادِهِمْ وَأَقْرَاتِهِمْ وَمَا يَقْرُونَ
ضِيُوفَهُمْ ، وَقَسَمَ يَسُوقُونَهُ فِي دِيَارٍ مَنْ يَقْتُلُونَ ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا اتَّفَقَ لَهُ فِي
بَيْتٍ وَاحِدٍ وَلَا أَبْيَاتٍ كَثِيرَةٍ كَمَا اتَّفَقَ لِهَذَا فِي صِحَّةِ الْقِسْمَةِ وَشَرْحِ الْأَبْوَابِ
الَّتِي تَصْرَفُ فِيهَا .

قيس بن زهير العبسي :

تَرَكْتُ النُّهَابَ لِأَرْبَابِهِ وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّعِقِ
جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَاحَالَه وَبَعْضَ الْفَوَارِسِ لَا يَعْتَقُ

قد ذكرنا كما تقدم أن أصل هذا المعنى بيت عنترة :

يَنْبِئُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي أَغَشَى الْوَعْيَى وَأَعَفَّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وذكرنا معه شيئاً من نظائره ، فلما وقفنا على هذا البيت علمنا أنه
الأصل فإن قال قائل : قيس بن زهير وعنترة بن شداد العبسيين في عصر
واحد ، قلنا : صدقت ، إلا أن قيس في آخر حرب داحس ، وهو الوقت الذي
قتل فيه خالد بن جعفر العامري زهير بن جذيمة العبسي ، في أسره عمرو بن
الصعق العامري ، وما نحسب أن عنترة كان وكف في ذلك الوقت ، وإنما لحق
عنترة آخر أيام عبس وذبيان بعد يوم جبلة ، وإنما ثبتت شجاعته في يوم عراعر

ويوم الفُرووقَ وهذان اليومان بعد يوم جبلة ، ويوم جبلة كان وقد مضى من حرب داحس شبيهه بخمسين سنة . وجوداً أيضاً قيس في قوله « جعلت يدي وشاحاً له » البيت يقول إن أكثر الفرسان يطعن برمحه وبسيفه ولا يعتنق إلا الواحد من العدد الكثير . ومن جيد ما قيل في هذا المعنى الذي قدّمنا ذكره وأقدمه قول عمرو بن كلثوم التغلبي :

فأبوا بالنهب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدنا

[في هجو النساء]

أعرابي يهجو امرأته :

خرقاء بالخير ما تُهدى لوجهته وهي صناع الأذى في الأهل والجار
ليست بشبعي ولو أوردتها هجراً ولا برياً ولو حلّت بذني قار

إلى هذا نظر هذا القائل :

كالخوت لا يكفيه شيء يلهمه يُصبح ظمآن وفي البحر فمه

ولآخر يخاطب امرأته (١) :

يارب مثلك في النساء عزيزة بيضاء قد روعتها بطلاق
لم تدر ما تحت الضلوع وغرها منى تجمل عشتري وخلاقي

[ذم من قصر عن أبائه]

أعرابي يمدح معن بن زائدة ، ويهجو روح المهلب :

لئن كان معن زان شيبان كلها لقد شان روح كل آل المهلب
رفيع بجديّه، وضيع بنفسه لثيم محيّا، كريم المركب

(١) هو غيلان بن سلمة .

أخذ أبو تمام قوله: «رفيع بجديّه، وضيع بنفسه» البيت، فقال:
يا أكرم الناس آباءً ومفتخرًا والأمّ النَّاسِ مَبْلُوءًا ومُخْتَبِرًا
يُعْضِي الرِّجَالَ إِذَا أَبَاؤُهُ ذُكِرُوا لَهُ وَيُعْضِي إِذَا مَا لُؤْمُهُ ذُكِرَا
والشعر الأوّل الذي أخذ أبو تمام هذا المعنى منه أجودٌ من قول أبي تمام
وأحسن تركيباً وتقسيماً وأبلغ في المعنى، وقد ألمّ بهذا المعنى جماعة من
الشعراء، فقال بعضهم:

إن قلت: كان أبي في بيت مكرمة، قلنا: صدقت ولكن بس ما ولدا
وأنتى به آخر فقال^(١):

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ، وَأَمَّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانَ غَيْرَ نَجِيبِ
فلا يعجبَنَّ النَّاسُ مُنكَ وَمِنْهُمَا فَمَا خَبَّتْ مِنْ فَضَّةٍ بِعَجِيبِ
ولابن المعتز يخاطب به رجلا فيقول: إنك كريم الآباء لثيم النفس،
وهو:

حتى كأنك نعمة في نعمة أو ثومة في روضة من نرجس
وقال الله تعالى: ﴿يَمِيزُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ والشعر في مثل هذا
المعنى كثير، وهو يجيء في مواضع أخر إن شاء الله.
الشمرذل اليربوعي:

ألا لا أبالي من أتاه حمامه إذا ما المنايا عن بجير تجلّت
يكون أمام الخيل أول فارس ويضرب في أعجازها إن تولّت
ومن هذا أخذ البحري قوله:
طليعتهم إن وجه الجيش غازياً وساقتهم إن وجه الجيش قافلاً

(١) هو حسان بن ثابت.

وقد ذكرنا نظائر هذا المعنى ، وأكثرها فيما كتبنا في هذا الكتاب .

[معنى مشي المرأة]

ومن أحسن ما قيل في مشي النساء ما قال بعض الأعراب :

فقمنا بطيئاً مشيهن تأوداً على قَصَبٍ قد ضاق عنه خلاخله
كما هزّت المرائن ربيعاً فحرمت أعالي منه وارجحت أسافله

[معنى الهجاء : الاستهانة بغضب المهجور]

أعرابي :

فبِإِلهٍ يَشْتَمِنِي قَعِين تَعَالَى اللهُ رَبِّي ذُو الْجَلَالِ
فَتَى إِنْ يَرْضَ لَا يَنْفَعُكَ شَيْئاً وَإِنْ يَغْضَبُ فَإِنَّكَ لَا تَبَالِي
وقد أخذه ابن الرومي فقال :
غَضِبْتَ وَطَلْتَ مَنْ سَفِهَ وَطَيْشَ تَهْزُهُ زُحْلِيَّةٌ فِي قَدْرِ رَقَشِ
فَمَا افْتَرَقَتْ لَغَضْبَتِكَ الثَّرِيّاً وَلَا اجْتَمَعَتْ لَذَاكَ بِنَاتُ نَعَشِ
وقول ابن الرومي هذا أجود من الأول لفظاً وزيادة في المعنى ، ومثل
الأول قول الآخر (١) :

أبو عامر كالناس يرضى ويغضب ويبعد في بعض الأمور ويقرب
ولكن رضاه ليس يُجدي قلامه فما فوقها ، وسخطه ليس يُرهب
أخيراً من هذا كله قوله (٢) .

أرعد وأبرق يابز يدُ فما وعيدك لي بضائر

(١) هو أبو علي البصير .

(٢) هو الكميث بن زيد .

ولشتانَ بين قول هذا في الغضب وقول جرير :

إذا غضبتُ عليك بنو تميم حسبتُ الناسَ كلَّهم غضابا

وبين قول بشار بن برد :

إذا ما غضبنا غضبةً مُضريَّةً هتكنا حجابَ الشمسِ أو قطرتُ دما

ومثل المعنى الأول في الاستهانة بالغضب قول أبي عليّ البصير .

يا أبا العيناء لا تغضبْ، وإنْ تغضبْ فأهونُ

[معنى الهجاء بقصر النفس على المأكَل والملبس]

الأعشى :

أبا ثابتٍ لا تعلقنك رماحنا أبا ثابتٍ واقعدْ فإنك طاعمٌ

طعامَ العراقِ المستجادِ الذي ترى وفي كلِّ عامٍ كسوةٌ ودرهمٌ

فأخذ هذا المعنى الحطيئة فزاد على الأعشى زيادةً بيّنةً بقوله :

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعدْ فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسي

وما أقرب هذا المعنى من قول الآخر :

إذا ما كنتَ ذا أكلٍ وشربٍ فلا تطمَحْ إلى نيلِ المعالي

هذا ضدُّ قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني، ولم أطلبْ، قليلٌ من المالِ

ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثِّلٍ وقد يدركُ المجدُ الموثلُ أمثالي

سلمة بن رشك اليشكري :

عاودَ القلبَ خبالَ ردعةٍ كلما قلتُ تناهي صدعةً

وجوى من حبِّ سلمى مضمُرٌ أتعِبَ القلبَ وأبديَ جزعةً

وصديق السوء لا تأخذه بل جميلُ الرأي في أن تدعَهُ
 فاجتنبَهُ واجتنبَ أشياعَهُ إن من آخى لثيماً وضعَهُ
 أما قوله «إن من آخى لثيماً وضعه» مثل قول الأنصاري:
 سَلِي عن جليسي في النديِّ ومألَفِي ومن هوَ لي عند الأمورِ ظهيرُ
 وقريب منه قول علي بن الجهم:

نَسِيلُ الصديقِ والعدوِّ وإنما يعادي الفتى أكفاهه ويُصالحُ
 إلا أن بيت علي بن الجهم أشد استيفاء للمعنى وأحسن في اللفظ ممن
 تقدمه ، وما يعرف في هذا المعنى مثل بيت علي هذا جودةً وفصاحةً وحسنًا .
 ومثله :

يُقاس المرءُ بالمرءِ إذا ما المرءُ ما شاه

والأصل في هذا قول عدي بن زيد^(١):

عن المرءِ لا تسألَ وسلَّ عن قرينه فإنَّ القرينَ بالمقارنِ مُقتدي
 الأحيَمِ السعديِّ وطرده قومه لكثرة جنائياته :

وإني لأستحي من الله أن أرى أجرُّ حَبْلًا ليس فيه بعيرُ
 وأن أسألَ الوغدَ البخيلَ بعيرةً وبُعْرانِ رَبِّي في البلادِ كشيبرُ
 عوى الذئبِ فاستأست للذئبِ إذ عوى وهينم إنسانٌ فكدت أطيبرُ
 بعض الأعراب :

رُجِعْ فَلَسَنْ مِنَ اللواتي بالضحى لذيولهنَّ على الطريقِ غُبَارُ
 وإذا خرجن يعدن أهلَ مُصيبَةٍ كان الخُطَا [إسراعها] الأشبارُ
 يأنسن عند بعولهن إذا خلوا وإذا هم خرجوا فهن خِفَارُ

(١) وورد البيت في معلقة طرفة .

وكلامهن كاتما مرفوعه
من ههنا أخذ أبو تمام قوله:

فالمشي همس والنداء إشارة
وقال معن بن أوس المزني:

فلا وأبي، حبيب ما نفاه
وكان هوى الغني إلى غناه

تكتفه الوشاة فأزعجوه
ولولا أن أم أبيه أمي

إذا لأصابه مني هجاء
أعلمه الرماية كل يوم

يرى بالسين غير معجمة من السداد في الرمي وبالشين معجمة أكثر،
أخذ دعبيل هذا المعنى فقال:

إن عابني لم يعب إلا مؤدبه
وكان كالكلب ضرأه مكلبه

أعرابي:

فإن يمنعوا منا السلاح فعندنا
جنادل أملاء الأكف كأنها
سلاح لنا لا تشتري بالدرهم
رؤوس رجال حلقفت بالمواسم

روي أن غلاماً من الأعراب أراد أن يمضي مع قوم من بني عمه إلى
حرب كانت لهم، فقال لهم: تجنّبوا النبل فإنها رسل المنية، واحذروا الرماح
فإنها أرضية الموت، وتوقّوا السيوف فإنها لا سوء بعدها، قالوا: فبم نقاتل؟
فقال: بقول الشاعر:

جنادل أملاء الأكف كأنها رؤوس رجال حلقت بالمواسم

وقال عمار بن ثقيف الهلالي:

ياربّ قائلة يوماً لجارتها: هل أنتِ مُخبرتي ما شأنُ عمّارٍ؟

قالت أرى رجلاً بادٍ أشاجعهُ كأنه ناقهٌ أو نضوءُ أسفارٍ

إمّا تريني لجسمي غير محتشدٍ فإنّني حشد للضيف والجار

وما على الحرّ أن تعرّى أشاجعهُ أو يلبس الخلق المرقوع، من عارٍ

هذا البيت مثل قول الآخر^(١):

قد يدركُ الشرفَ الفتى ورداءهُ خلقٌ وجيبٌ قميصه مرقوعٌ

وهذا البيت أجود لفظاً وإغراقاً في المعنى.

أعرابي:

إذا مت فابكيني بشنتين لا يُقل: كذبت، وشرّ الباكيات كذوبها

بعفّة نفس حين يُذكر مطمعٌ وعزّتها إن كان أمرٌ يربُّها

فإن قلت: سمحٌ بالندى، لم تكذّبي فأماً تُقى نفسي فرّبي حسيبها

قال عتبية بن مرداس:

رأيتُ المعلّى ليس يُشبهه عمّه ولا خاله ولا أباه المقسداً

أولئك ما زالوا عرّانين خندف إذا كان يوماً كاسفَ الشمسِ مظلماً

وهذا فما نلقاه إلا مصمماً على مال ذي القربى وإن كان معدماً

فتى تكثر الأموال تحت عجانهِ إذا أكثر الناس الندى والتكرماً

تراه كماء البحر يدفع ملحهُ لورآده عنه وإن كان مُفعماً

من هنا أخذ البحريّ قوله:

(١) هو ابن هرمة.

جِدَّةٌ يَذُودُ الْبَخْلُ عَنْ أَطْرَافِهَا كَالْبَحْرِ يَدْفَعُ مِلْحَهُ عَنْ مَائِهِ
ولقد جودَ البحترى، وإن كان قد أخذ المعنى بأسره وبعض اللفظ.

آخر:

نغدو فيما استعزنا من محاسنه فضلاً وإما استمحننا من أياديهِ

ولقد أتى ابن الرومي في نهاية التجويد واستيفاء المعنى بقوله:

يقول عليّ مرةً وأنا لثني، وكان عليّاً في معانيه كاسمِهِ:
«أرى فضلَ مالِ المرءِ داءَ لعرضه كما فضلَ طعامِ المرءِ داءَ لجسمه»
فرحتُ برفديهِ وما زلتُ رابِحاً برفديينِ من شتّى نذاه وعلمهِ
قال ذو الرمة:

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادّرعتهُ بأربعةٍ والشخصُ في العينِ واحدُ
أحمُ عِلافِيٍّ وأبيضُ صَارِمِ وأعيسُ مُهزِّيٍّ وأشعبُ ماجِدُ
أخذه البحترى فقال:

يانديمي بالسواجير من ودِّ بن عمرو ويحترُّ بن عتودِ
اطلبنا لثأسواي فإتني رابعُ العيسِ والدجى والبويدِ

وما نعلم أن البحترى أخذ لمتقدم معنى أو لمحدث إلا زاد فيه أو ساواه
بكلام عذب مليح إلا هذا المعنى فإنه لم يلحقه وقصر عنه . والله درُذِي الرمةُ
فلقد طرف كلام بيته [الأوّل] وقد جودَ قسمة الثاني .

أعرابي قتل أخوه ابناً له فقدم إليه ليقتاد منه فألقى السيف من يده
وقال^(١):

أقول للنفس تأساءً وتعزيباً إحدى يدي أصابتني ولم تُردِ
كلاهما خلفت من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

(١) هو أبو العريان بن سهلة النهاني .

وهذا مثل قول الآخر^(١):

وما كنت إلا مثل قاطع كفه
يداه أصابت هذه حتف هذه
بكف له أخرى فأصبح أجذما
فلم تجد الأخرى عليه مقدما
فلما أستقاد الكف بالكف لم يجد

ولبعض المحدثين في مثل هذا:

لم أجن ذنبا ولم أرده فإن
قد تطرف الكف عين صاحبها
قارفت ذنبا فغير معتمد
فلا يرى قطعها من الرشد

والى هذا نظر البحثري في قوله يخاطب قوماً من طيء:

إن أرمكم بك من بعضي لكم شعل
تَهْوِي إليكم ومن بعضي لكن جنن
رددت نفسي على نفسي فقلت لها:
بنو أبيك فما الأحقاد والإحن

[وصف الثغور]

فأمّا ذكر الثغور فإن الشعراء قد أكثرت في وصفها، ونحن نذكر هنا شيئاً من ذلك، قال الشاعر:

ومجدولة جدل العنان خريدة
لها شعر جعد وجسم منعم
وثغر نقي اللون عذب مذاقه
تضيء له الظلماء حين تبسم

وقال آخر:

وشف عنها خمار القز عن برد
كالبرق لا كس فيه ولا فعل
كأنه أقحوان بات يضر به
ليل من الدجن سقاط الندى خصل

قد شاب هذان الشاعران شعرهما في صفات الثغور بذكر الابتسام

(١) هو التلمس الضبّي.

لتقارب المعنيين ، ومن جيد ما قيل في صفة الثغر ونادره قول مسلم بن الوليد :

تِسْمَنُ عَنْ مِثْلِ الْأَقَاحِيِّ تِسَمَّتْ لَهُ مُزْنَةٌ صَيْفِيَّةٌ فَتَبَسَّمَا

وأحسن ما قيل في هذا المعنى للمتقدمين قول بشر بن أبي خازم :

يُعَلِّجُنُ الشِّفَاهُ عَنْ أَقْحَوَانَ جَلَاهُ غُبٌّ سَّارِيَةٌ قَطَارُ

ويروى عن الأصمعي أنه قال : أحسن بيت ذكر به الثغر بيت بشر هذا ، وأحسن بيت قيل في فترة الجفون بيت ابن الرقاع :

وَكَأَنَّهَا وَسَطَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحُورٌ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمٍ
وَسَنَانُ أَقْصَدِهِ النَّعَاسُ فُرْنَقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ

ولعمري إن بيتي ابن الرقاع هذين في نهاية الحسن ، ونحن نأتي بالنظائر في تفتير العيون وسقامهن في مواضع أخرى . فأما قوله إن بيت بشر أحسن ما قيل في صفة الثغر فالأمر عندنا بخلاف ذلك . والذي عندنا أن بيت مسلم ، وإن كان قد أخذ المعنى من بشر ، أجود تركيباً وأحسن لفظاً وأبلغ معنى . وبعد إن للمحدثين في ذكر الثغور من البدائع ما لم يأت بمثلاً المتقدمون وإن كانوا الإمام المتبع ، ونحن نذكر هنا شيئاً من قول الجميع ونذكر أول من اخترع المعنى من المتقدمين . وأول من شبه الثغر بالأقحوان أبو دؤاد الإيادي بقوله :

قَامَتْ تُرَيْكُ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُنْسَدِلًا وَبَارِدًا كَأَقَاحِي الرَّمْلِ بَرَّاقَا

ومنه أخذ سائر الشعراء هذا التشبيه ، فممن أخذه النابغة :

تَجَلَّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيَكَةَ بَرْدًا أَسْفَلَ لِيثَانَهُ بِالْأَثْمِدِ
كَالْأَقْحَوَانَ غَدَاةَ غُبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

شبه شفتيها واللمى الذي فيهما بقادمتي الحمامة ، وهذا الريش الذي

في قوادم الجناح، لأنه أشدّ سواداً من الخوافي، فلذلك خصّ القوادم
بالتشبيه .

ويجوز أن يكون إنمّا عنى أصابعها وشبهها بقادمتي الحمامة، وذكر أن
أطراف أصابعها مخضوبة وأنه نظر إليها وهي تستاك فشبّه أصابعها بقوادم
ريش الجناح، وهذان القولان جميعاً جائزان، وذكر الأصمعي أنه عنى سواد
لحم الأسنان وذلك أنهم كانوا يدمون اللثة ثم يذرون عليها الكحل لتسودّ
فيكون سوادها مع بياض الأسنان حسناً، وهذا أيضاً قولٌ. وقد أخذ جماعة
من الشعراء المتقدمين هذا المعنى من النابغة، فأحدهم الأعشى في قوله:

تجلو بقادمتي حمامة أَيْكة برداً أسِفَ لثِثاتُهُ بسوادِ

ذكر أنها لمياءُ الشفتين، والعرب إذا وصفتُ بياضَ الشجر خلطت بذلك
سواد اللثة .

[معنى فضل النعمة على الشكر، وعكسه]

وقال أبو زبيد الطائي:

سأقطع ما بيني وبين ابن عامرٍ فطبيعة وصل، لست أقطع جافيا
فتى يتبع النعمى بنعمى تربُّها ولا يتبع الإخوان بالدم زاريا
إذا كان شكري دون فيض بنانه وطاولني جوداً فكيف احتياليا

هذا معنى حسن، وقد تجاذبه جماعة من الشعراء وولدوا فيه أشياء
بقرائعهم نحن نذكر بعضها، إلا أن الأصل فيه المخترع له أبو زبيد في
الآبيات التي قدمناها، ومَن جودَ فيه أبو نواس بقوله:

قد قلت للعبّاس مُعتذراً من حمل شكره ومُعترفاً
أنت امرؤٌ جَلَلْتَنِي نِعْماً أو هت قوَى شكري فقد ضَعُفاً

فإليك بعد اليوم معذرةً
لا تُسدين إليَّ عارفةً
وأنتي بهذا المعنى دَعِبِلَ بقوله:

فأقسمُ لا عن جفوةٍ ولا ولا قَلِيَّ
ولكنني لما أتيتك زائراً
فمِلانَ لا أتيك إلا مسلماً
فإن زدني برأت زِيدتُ جُفوةً

وهذه الأبيات دون أبيات أبي نواس ، لأنَّ أبيات أبي نواس جيدة الألفاظ صحيحة المعنى ، والذي أبدع في هذا المعنى حُسن لفظ واستيفاء معنى البحترى بقوله :

إنِّي هجرتك إذ هجرتك وحشةً
أخجلتني بندي يديك فسودتُ
وقطعتني بالجود حتى إنني
صلةً غدت في الناس وهي قَطِيعَة

وقدره البحترى أي هذا المعنى في شعر آخر وهو قوله :

إيها أبا الفضل شكري منك في نصب
لا أقبلُ الدهرَ نَيْلاً لا يقوم به
أقصرُ فمالي في جدواك من أرب
شكري ولو كان مُسديهِ إليَّ أبي

ولئن كان لأبي زَيْيد فضيلة السبق وجودة الاختراع فإنَّ للبحترى حسن اللفظ واستيفاء المعنى ، بل هو أحق بهذا المعنى من كلِّ مَنْ أتى به ولسعيد بن هاشم الخالدي في هذا المعنى قوله :

ووالله ما عارضتُ جودك ساعةً
كانَ عطاياك الجسيمة أفسمتُ
بشعري إلا كان أشعر من شعري
بأنِّي لا أنفك مهتضم الشكرِ

وقد ذكر جماعة من الشعراء أن الشكر يوازي النعمة، فإن زاد شكر*
 على النعمة كان أفضل منها، وإن كان مثلها لم يكن لأحدهما فضل على
 الآخر، ومن ذلك قول مسلم بن الوليد، وهذه القطعة التي نذكرها من
 المعاني المخترعة الجياد، وهي قوله:

سَبَقْتُ بِمَعْرُوفٍ فَصَلَّى ثَنَائِيَا فَلَمَّا تَمَادَى جَرِيئًا صَرَّتْ تَالِيَا
 أبا حَسَنٍ قَدْ كُنْتُ قَدَّمْتُ نِعْمَةً وَالْحَقُّتْ شُكْرًا ثُمَّ أَمْسَكْتُ عَانِيَا
 فَلَا ضَيْرَ لَمْ يَلْحَقْكَ مِنِّي مَلَامَةٌ أَسَأْتُ بِنَا عَوْدًا وَأَحْسَنْتُ بَادِيَا
 فَمِلَانَ لَا يَغْدُو عَلَيْكَ مَدَائِحِي جَوَازِي نُعْمَى قَدْ نَضَّتْ أُرُوجِيَا
 لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُسِيءَ بِصَاحِبِ فَتَذَكَّرُ إِحْسَانِي بِهِ وَبِلَائِيَا

ما نعرف في معنى هذه الأبيات مثلها .

قال العوأم بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى:

وَخَبَّرْتُ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أَعُودُهَا
 هذا البيت تناحر^(١) الشعراء فيه:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا أَتَبَرُّهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغْيِيرٌ بَعْدَنَا مَلَا حَةَ عُمَيِّي أَمْ يَحْيَى وَجِيدُهَا
 وَهَلْ أَخْلَقْتَ أَنْوَابُهَا بَعْدَ جَدَّةٍ أَلَا حَبْدًا خُلُقَانُهَا وَجَدِيدُهَا
 خَلِيلِي قَوْمًا بِالْعِمَامَةِ وَأَعْصَبَا عَلَى كَيْدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَمِيدُهَا
 وَلَنْ بَلِبْتَ الْوَأَشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا إِذَا لَمْ يَكُنْ صَلْبًا عَلَى الْبَرِّي عَوْدُهَا
 لَقَدْ كُنْتُ جُلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى عَلَى كَيْدِي نَارًا بَطِيئًا خُمُودُهَا
 وَلَوْ تَرَكْتَ نَارَ الْهَمَى لِتَضُرَّمَتْ وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا

(١) الأبيات ليست للعوام وحده، وإنما هي لعدد من الشعراء .

وقد كنت أرجو أن تموت صبايتي
فقد جعلت في حبة القلب والحشا
وكنت إذا ما جئت ليلى أزورها
من الخفريات البيض وجليسها،
خليلي آتني اليوم شك إليكما
حزازات شوق في الفؤاد وعبرة
وتحت مجال الدمع حر بلابل
نظرت إليها نظرة ما يسرني
إذا جثتها وسط النساء منحتها
ولي نظرة بعد الصدود من الجوى
رفعت عن الدنيا المثى غير وجهها
هذه الأبيات من جيد غزل الأعراب ونادره، وفيها أشياء لها نظائر
نحن نذكر بعضها، فمن ذلك قوله :

«من الخفريات البيض» البيت فأحسن ما قيل في معناه، وقد تركنا
نظائر كثيرة له في صدر هذا الكتاب ونحن نذكر ههنا شيئا مما لم نذكره
هناك، فمن ذلك قول بشار :

ولها مضحك كغفر الأجاجي وحديث كالوشى وشي البرود
نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد
ذو الرمة :

ونلنا سقاطاً من حديث كأنه جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع

آخر (١):

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رقيق الحواشي لا هراء ولا نزرٌ

آخر:

ظللنا بيوم عند أم محلم ظلالنا بيوم عند أم محلم
إذا صمتت عنا أذنا بصمتها إذا صمتت عنا أذنا بصمتها
نشأوى ولم نشرب طلاء ولا خمراً
وإن نطقت هاجت لألبابنا سكرًا

[مشي النساء والرجال]

وقال ابن مقبل:

بهزُزْنَ للمشي أعطافاً منعمةً هزَّ الرياحُ ضحىً أغصانَ بَيْرِينَا
يَمَشِينُ مِثْلَ النَّقَا مالت جوانبُهُ يَنْهَالُ حِينَا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينَا

هذا من جيد ما قيل في المشي وقد ذكرنا قطعة من هذا النوع فيما تقدم، ونحن نذكر ههنا أشياء آخر لم نذكرها قبل هذا الوقت، نذكر أموراً شتى من أمور مشي النساء والرجال على ضروب مختلفة مثل مشي السكران وغيره، إذ كان قصدنا أن نُعدِّد في هذا الكتاب قطعة في كل نوع من أنواع الشعر. فمن أحسن ما نعرف، وهو أحق بالتقديم لجودة ألفاظه ورقة معانيه وإحكام بنيته، أبيات لسلَّم بن الوليد يذكر فيها مشي امرأة، ولا نعرف في هذا المعنى أحسن من هذه الأبيات، وهي:

مريضة أثناء التهادي كأنما تخافُ على أحشائها أن تقطعاً
تسبب أنساب الأيم أخصره الندى فرقع من أعطافه ما ترقعاً
ناملتها مغبرةً وكأنما رأيت بها من سنه البدر مطلعاً
إذا ما ملأت العين منها ملأتها من الدمع حتى تنزف الدمع أجمعاً

(١) هذا البيت أيضاً لذي الرمة.

لولا أننا شرطنا ألا نقدم في هذا الكتاب إلا أشعار المتقدمين ثم تأتي بعد ذلك بالنظائر للمحدثين والمتقدمين، لكان سييلنا أن نجعل هذه الأبيات الإمام في هذا المعنى لجودة ألفاظها وصحة معانيها وأنها واسطة القلادة في هذا المعنى والمعاني في صفة المشي كثيرة التصرف، فمن الشعراء من شبه المشي بتحريك الأغصان، ومنهم من ذكر ذلك بانسياب الحية، ومنهم من وصفه بمرور السحاب، إلى أشياء من التشبيهات كثيرة، ونحن نذكر من كل هذه الصفات والتشبيهات ما يعين لنا بحول الله وقوته.

العرجي:

يمشي كما حرمت ريحٌ يمانيةٌ غُصْنَا من البانِ رطباً طلَّهُ الرَّهْمُ

وإلى هذا نظر البحري في قوله:

تهتز مثل اهتزاز الغصن أتعبه مرور غيث من الوسمي سحاح

وقال ذو الرمة:

مشين كما اهتزت رماحٌ فسفَّهت أعاليها مرضى الرياح التواعم

آخر:

تأودن لما أن تهادين نحونا كما حرمت ريح العشيات خروجا

آخر:

يمشين مشي قطعاً البطاح تأودا قُبَّ البطون زواجح الأكفَال

وأول من شبه مشي المرأة بمشي السكران امرؤ القيس بقوله:

وإذ هي تمشي كـمـشي التزييفِ يصـرعه بنا الكـثيبِ البهـر

وشبهه المنخل الشكرى بمشي القطاة فقال:

ودفعتهافتدافت مشي القطاة إلى الغذير

وقال ابن ميادة:

إذا الطَّوَالُ سَدَّوْنَ الْمَشْيِ فِي خَطَلٍ
تمشي ككُذْرِيَّةٍ فِي الْجُوفِ وَارِدَةٍ
قَامَتْ تَزِيكٌ قُوَامًا غَيْرِ ذِي أُوْدٍ
تهدي سرُوبَ قَطَا يَسْرِينِ لِلثَّمَدِ
آخر وهو جِرَانُ الْعُودِ:

فَلَمَّا رَأَيْنِ الصَّبِيحَ بَادِرْنَ ضَوْءَهُ
آخر^(١):

وَكَلَّانَهُنَّ إِذَا أُرْدُنَ خُطَاً
البحترى:

لَمَّا مَشَيْنِ بِنَدِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ
آخر^(٢):

وَبِيضُ تَطَلَّى بِالْعَبِيرِ كَأَنَّمَا
يطآن، ولو أعنقن في جدد، وحلا

هذا بيت جيد في هذا المعنى، لأنه لم يرض أن يجعلها تمشي في
الجدد، وهو السهل المستوي من الأرض، حتى قال: كأنها تطأ الوحل وإن
هي أسرع في مشيها.

فأما أول من شبه المشي بمشي السكران للثني والانعطاف فامرؤ القيس
في قوله:

وَإِذَا هِيَ تَمَشِي كَمَشْيِ النَّزِيْفِ يَصْرَعُهُ بِالْكَثِيْبِ الْبُهْرُ

أخذه مضرس الفقعسي فقال:

تساكر سلمى من سجية مشيها وما سكر سلمى من طلاء ولا خمير

وقال الشماخ:

(١) هو صالح بن عبد القدوس.

(٢) هو عمرو بن شأس الأسدي.

تَخَامَصُ عَنْ بَرْدِ الرَّشَاحِ إِذَا مَشَتْ
أَخَذَهُ جَرِيرٌ فَقَالَ :

إِذَا مَا مَشَتْ لَمْ تَبْتَهَرُ وَتَأَوَّدَتْ
كَمَا اتَّادَ مِنْ خَيْلٍ وَجٍ غَيْرِ مُنْعَلٍ
فَأَمَّا وَصَفَ مَشِيَةَ السُّكْرَانِ فَمَثَلَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

اسْقِنِي بِالْكَبِيرِ ، يَا سَعْدُ ، حَتَّى
أُرَآنِي ، إِذَا مَشَيْتُ ، كَأَنِّي
أَحْسِبُ النَّاسَ كُلَّهُمْ لِي عَبِيدًا
أَعْدِلُ الْأَرْضَ خَشْيَةَ أَنْ تَمِيدَا
أَخَذَهُ الْآخَرُ فَقَالَ :

وَمَا زِلْتُ أَشْرَبُ حَتَّى اعْتَمَدْتُ
عَلَى الْأَرْضِ أَعْدِلُهَا أَنْ تَمِيلَا
وَمَنْ جَيِّدٌ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلَ الْآخَرِ (١) :

سَقَانِي هُدَيْلٌ مِنْ شَرَابٍ كَأَنَّهُ
فَمَا زِلْتُ أُسْقَى شَرِبَةً بَعْدَ شَرِبَةٍ
دَمُ الْجُوفِ يَسْتَدْعِي الْحَلِيمَ إِلَى الْحَبْلِ
لَعَمْرِكَ حَتَّى رُحْتُ مُتَّهَمَ الْعَقْلِ
خَرَجْتُ أَجُوبَ الْأَرْضِ أَرَكُلُ مُتْنَهَا
إِذَا هِيَ مَالَتْ بِي فَيَعْدِلُهَا رَكْلِي
وَيَرْكُضُ مَشِيَّ الْقَهْقَرَى مَرَّةً ، رَجْلِي
يَقْدُمْنِي طَوْرًا أَمَامِي قَاصِدَا
تَرَى عَيْنِي الْحَيَطَانَ حَوْلِي كَأَنَّهَا
تَدُورُ ، وَلَوْ كَلَّمْتَنِي قَلْتُ : ذُو خَيْلٍ
فَلَا أَيْبَاءَ بِلَايٍ مَا بَلَغْتَ إِلَى أَهْلِي
فَلَا الْعَيْنَ تَهْدِينِي ، وَبِالرَّجْلِ مَا بَهَا
أَخْرَ :

وَذِي غَيْدٍ لَمْ يَدْرِ مَا الْخَمْرُ قَبْلَهَا
سَقِينَاهُ حَتَّى صَارَ قَيْدَالَهُ السُّكْرُ
قَدْ ذَكَرْنَا شَيْئًا مِنْ ضُرُوبِ الْمَشْيِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَيْسِيرًا كَمَا
شَرَطْنَا ، وَلَوْ أُرَدْنَا أَنْ نَأْتِيَ بِمَا قِيلَ فِي جَمِيعِ الْفُنُونِ بِأَسْرِهِ لَطَالَ ذَلِكَ وَاتَّسَعَ

(١) هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ .

ولكان في شعر البحتري وحده ما يقع في كتاب مفرد، ولا بد بعد هذا أن نذكر منه شيئاً آخر إن شاء الله .

[معنى الزوج في غير الأقارب]

أعرابي يذكر ابنه :

فستى لم تلده بنت عم قريية فيضوى وقد يضىو سليل القرائب
ولكنمما أدته بنت مخجّب عظيم الرواق من خيار المرازب
تعلم من أعمامه اليأس والندى وورثه الأخوالُ حسن التجارب

ومثل هذا قول جرير في ابنه بلال :

إنَّ بلالاً لم تشنه أمه لم يتناسب خاله وعمه

فريحه ريحي وشمي شمه

وإنما يعتد بأن خاله وعمه لم يتناسبا، لأن العرب تزعم أن ابن الغرائب أنجب، وأن ابن القرابين يكون ضاويًا، ومن أمثالهم^(١): اغتربوا لا تَضُؤُوا، وأنشد:

نمت بي من شيبان أم نزيعة . كذلك ضرب المنجيات التزائع

وهذا البيت لجرير، وكانت أمه نزيعة في بني شيبان . وروي أن نوح ابن جرير أنشد هذا البيت في مجلس يونس بن حبيب النحوي ورجل من بني شيبان حاضر المجلس، فالتفت إليه نوح فقال: أخذناها والله يا أخا بني شيبان بأطراف الرماح عنة، فقال له الشيباني: أجل والله، ولولا ذلك لكان أبوك وجدك الأم من أن ينكحها عن رضى .

وقال آخر في المعنى الذي قدمنا ذكره :

(١) وهذا ما يقرره علم الوراثة الحديث .

تَجَنَّبْتُ بُنْتَ الْعَمِّ وَهِيَ قَرِيْبَةٌ مَخَافَةَ أَنْ يَضُوِيَ عَلَيَّ سَلِيْلِي
وفي مثله لآخر:

أَنْذَرْتُ مَنْ كَانَ بَعِيدَ الْهَمِّ تَزْوِيْجَ أَوْلَادِ بَنَاتِ الْعَمِّ
وفي مثله لآخر:

تَرَكْتُ بَنَاتِ الْعَمِّ وَاقْتَادَنِي الْهُوَى إِلَى ابْنَةِ عَلِيِّ الذِّكْرِ مِنْ آلِ فَارِسِ
وقال العتبي: تزوج أهل بيت بعضهم في بعض، فلما بلغوا البطن
الرابع بلغ بهم الضعف إلى إن كانوا يحبون حبوا لا يستطيعون القيام ضعفاً.

[معنى الجود]

حاتم الطائي:

أَمَا وَيَّ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَيَّ وَلَا خَمْرُ
تَرَى أَنْ مَا أَنْفَقْتُ لِمِ يَكُ ضَائِرِي وَأَنْ يَدِي نَمَّا بَخِلْتُ بِسَهْ صِفْرُ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَمَا نَ لَهُ وَقْرُ
غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصْعَلِكِ وَالْغِنَى وَكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَاسَيْهِمَا الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بِأَوْ أَعْلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا وَلَا أَرْزَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ

[«الديباج الحسرواني» لسحيم عبد بني الحسحاس]

وقال سحيم عبد بني الحسحاس، وكان المفضل الضبي يقول: قصيدة
الأسود - يعني سحيمًا - ديباج خسرواني:

عُمَيْرَةٌ وَدَعَّ إِنْ تَجَهَّزَتْ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبَ وَالْإِسْلَامَ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا
ليالي تصطاد الرجال بفاحم تراه أثيراً ناعماً النبت عافيا

من الدرِّ والياقوتِ والشَّدْرِ حاليًا
 وجمَرَ غَضًا هَبَّتْ له الرِّيحُ ذاكِيا
 ووجهاً كدينارِ الهِرِّ قَلِيٌّ صافيا
 ويرفعُ عنها جُوجُؤاً متعالِيا
 ويُفرِّشُها وحفاً من الزَّفِّ وافيًا
 مع الرُّكْبِ أمْ ثاوٍ لَدِينا لِياليًا
 تُزودُّ وترجعُ عن عُميرةٍ راضِيا
 بأيةٍ ما جاءت إلينا تهادِيا
 إذا مَسَّ عَلًا صَمَدًا تفرَّعَ وادِيا
 ومن حاجةِ الإنسانِ ما ليس قاضيًا
 وحَقِّفْ تَهَاداهُ الرِّياحُ تَهَادِيا
 عَلِيٌّ وَتَحْنُو رِجْلَها مِن وراثِيا
 بها البَرْدُ والشَّقَّانُ من عن شماليًا
 إلى الحَوْلِ حَتَّى أَنهَجَ البُرْدُ بالِيا
 ولا تُوبَ إِلا دَرعُها وِردائِيا
 إلينا نوى ظَمِيا حَيَّتْ وادِيا
 سَقِينِ سِماماً ما لَهِنَّ وما لِيا
 وواحدةٌ حَتَّى كَمَلْنَ ثَمانيًا
 إِلا إِنما بعضُ العَوائِدِ دائِيا
 وأحْمَى على أكبادهنَّ المِكاوِيا
 أعبدُ بني الحَسْحاسِ يُزجِي القوافِيا

وجيدٌ كجديدِ الرِّيمِ ليس بعاطِلِ
 كأنَّ الثُّرَيَّا عَلَّمَتْ فوقَ نحرِها
 أرْتكَ غَداءَ اللَّيْلِ كَفًّا ومَعْصَمًا
 فما بيضةٌ باتِ الظَّلِيمِ يُحْفُها
 ويجعلُها بينَ الجَناحِ ودَفِّه
 بأحسنِ مَناها يومَ قالَتْ: أراحِلُ
 فإنْ تَشوِ لا تَمَلُّ وإنْ تَكُ غادِيا
 أَلِكُنِّي إليها عَمْرُكَ اللهُ يافِتِي
 تَهَادِي سَيْلِ في أباطحِ سَهْلَةٍ
 ففَاءَتْ وَلَمْ تَقْضِ الَّذِي أَقْبَلَتْ بِهِ
 وَبِتِنا وَساداناً إلى عَلْجانَةٍ
 تَوَسَّدُنِي كَفًّا وَتَشْنِي بِمَعْصَمِ
 أَمِيلُ بِها مِيلَ النَزيفِ وَأَتَقِي
 فما زالَ بَرْدِي طَيِّباً من ثِياها
 وهَبَّتْ شَمالاً آخِرَ اللَّيْلِ فَرَّةً
 إِلا أَيُّها الوادي الَّذِي صَمَّ سَيْلُهُ
 أَلا تادِ في آثارِها الغَوائِيا
 تَجْمَعْنَ من شَتَى ثَلاناً وأربَعاً
 يَعدُنَ مريضاً هُنَّ هِيَجْنَ داءَهُ
 وَراهُنَّ رَبِّي مِثْلَ ما قَدِ ورَيْتِنِي
 أشارتْ بِمِدارِها وَقالتْ لأختِها

رأت قُبَّارَنا وَسَمَلِ عَباة
 فلو كنت وَرُداً أبيضاً لَعَشِقْتَنِي
 يُرْجَلُنْ أَقواماً وَيَتَرَكُنْ لِمَتِّي
 تَحْدَرُنْ مِنْ تَلِكِ الهَضابِ عَشِيَّةً
 وَقُلُنْ: أَلَا فَالْعَبِينِ مالِمِ يَرُدُّنا
 وَقُلُنْ لَصَفْراهِنِ أَنْتِ أَحَقُّنا
 تَمَارِينِ حَتَّى غَلِبَ نَجْمُ مُكَبِّدٍ
 وَحَتَّى أَنْارِ الفَجْرِ أبيضِ ساطِعاً
 فَادْبِرُنْ يَخْفِضُنْ الحَدِيثِ كَأَتَمَّا
 وَأَصْبَحُنْ صَرَغِي فِي الحِجالِ كَأَتَمَّا
 وَأَسودَ مَما يَمَلِكُ النَّاسُ عَبارِيا
 وَلَكِنْ رَبِّي شانَتِي بِسِواديَا
 وَذاكِ هِوانِ ظاهِرِ قَدِ بَدِليَا
 إِلى الطَّلحِ يَبغِينِ الهوى وَالتَّصايِيا
 نُعاسُ وَمالِمِ يُرسلِوا لِي دَاعيَا
 بِطَرَحِ الرِّداءِ إِنْ أَرَدتِ التَّباهِيا
 وَحَتَّى بَدَا النَجمِ الَّذِي كانَ تالِيا
 كانَ عَلَيَّ أَغلاهُ رِيطا شامِيا
 قَتَلنِ قَتيلاً أَوْ أَتِينِ الدَّواهِيا
 شَرِينِ مَداً أَوْ أَوْ سَريرِ لِياليَا

قال المفضل: كان عبد بني الحسحاس أسود طمطمانيماً إلا أنه كان حسن الشعر رقيق الألفاظ وأتى به أول ما قال الشعر عثمان بن عفان فقبل له: اشتريه فإنه شاعر، فقال: لا حاجة لي فيه؛ لأن العبد الأسود إذا كان شاعراً وجاع هجاً مواليه، وإذا شيع شيب بنسائهم وهو آخر أمره مقتول. وكان الأمر كما قال. وسأل عمر بن الخطاب يوماً أهل مجلسه عن الذي يقول: «كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً» فقيل: عبد بني الحسحاس، فقال: لو قدم الإسلام على الشيب لفرضت له. وقصيدته هذه التي كتبناها فقد تناول منها ألفاظاً كثيرة، من ذلك قوله:

ليالي تصطاد القلوب بفاحم
 تراه أثيراً ناعم الثبت عافيا

أخذه من قول الآخر (١):

ليالي تصطاد الرجال بفاحم
 وأبيض كالإغريض لم يتشلم

(١) هو التابعة الجمعي.

وهذا البيت أجود من بيت سحيم عبد بني الحسحاس لأنَّ العبد ذكر
في بيته الشعرَ فقط وهذا ذكر في صدر بيته الشعر ، في عجزه الشجر وهما
متقاربان ، ومثله لامرئ القيس :

ليالي تصطاد الرجال بفاحمٍ أثيث كقنو النخلة المتعشکل
وأخذ قوله أيضاً «وجيد كجيد الرِّم ليس بعاطل» البيت من قول امرئ
القيس :

وجيد كجيد الرِّم ليس بفاحش إذا هي نصتته ولا بمعطل
وأخذ قوله «كأن الثريا علقت . . .» البيت من قول الآخر^(١) :

كأن الثريا علقت فوق نحره وفي جيده الشعرى وفي وجهه القمر
إذا قيلت العوراء اغضى كأنه ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

وأخذ قوله : «فما بيضة بات الظلیم . . .» البيت وقوله «ويجعلها دون
الجناح . . .» البيت بعده من قول أبي دؤاد الإيادي :

فما بيضة بات الظلیم یکنها بأجرع من یبرین حرج نعامها
ویرئخی جناحیه علیها ویتنی رياحاً من الجوزاءِ طلاً رهامها

وأما قوله «أشارت بمدراها . . .» البيت فمثل قول عمر بن أبي ربيعة :
أشارت بمدراها وقالت لأختها : أهذا المغيري الذي كان يذکر
ومثل قول أبي دهل :

أشارت بمدراها وإيائي حاولت وقالت لتربيتها : علي توقفاً

والذي لا نشك فيه أن عمر بن أبي ربيعة وأبا دهل أخذوا هذا المعنى من
العبد لأنه أقدم منهما .

(١) هو أسيد بن عتقاء الفزاري .

[معنى مشي النساء]

وأما قوله «ألكني إليها عمرك الله . . .» البيت وقوله «تهادي سليل . . .» البيت بعده فهو حسن في مشي النساء وقد أخذه جماعة . فممن جود في أخذه وأبدع وزاد زيادة بيّنة وأتى به مع الزيادة الكثيرة باللفظ العذب والاستعارة الجيدة والتشبيه المليح ابن الرومي في قوله :

جاءت تدافع في وشي لها حسن تدافع الماء في وشي من الحبيب
وقد ذكرنا أكثر ما قيل في مشي النساء بل نظن أننا قد استغرقتنا سائر ما قيل فيه في مواضع من هذا الكتاب فلذلك لم نذكر هنا منه شيئاً .

[معنى وصف العناق]

وأما قوله «توسدني كفاً وتثني بمعصم» البيت فهو مليح في وصف العناق . على أن للمحدثين في هذا المعنى صفات جودوا فيها وأحسنوا غاية الإحسان قد ذكرنا بعضها فيما تقدم . ومما لم نذكره هناك قول ابن الرومي :

ربما التفت إلى الصبح لنا ساق بساق
في نقاب من لثام ورداء من عناق

وقول ابن الرومي هذا أتم في المعنى وأحسن في اللفظ والزيادة فيه لا تُخيلُ لحسن الاستعارة، ومثله في الحسن له أيضاً :

وكلانا مرتد صاحبه كارتداء السيف في يوم الوغأ
نتساقى الرقيق مما بيننا زقّ أمات القطأ زغب القطأ

وممن جود في ذكر العناق بشار بقوله :

فبت بها لا يخلص الماء بيننا إلى الصبح دوني حاجب وستور

وقد أخذ علي بن الجهم من بشار فقال :

سقى الله ليلاً ضمناً بعد هجعة وأدنى فؤاداً من فؤاد معدب
 فبتنا جميعاً لو ترأق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب
 ومن مليح ما قيل في العناق قول ابن المعتز:

كأنني عسانقت ريحانة تنفست في ليلها البارد
 فلو ترأنا في قميص الدجى ظننتنا في جسد واحد

وإلى هذا أشار ابن طباطبا في قوله:

وليل نصرت الغي فيه على الرشد وأعدت حال القرب منه على البعد
 وضيق فيه من عناق معانقي فظن وسادي أنني نائم وحدي
 وللبحري في العناق أيضاً:

ومن قبل قبل التثاكي وبعده نكادبها من لذة اللثم نشرق
 وقد لفتنا وشك الفراق وضمنا عناق على أعناقنا ثم ضيق

ليس يجوز أن نستقصي جميع ما قيل في الباب إذا عن في موضع واحد، لأنه لا بد أن ترد في مواضع؛ فلذلك نترك نظائر كثيرة احتياجاً إليها لموضوع آخر.

[معنى سؤال قريبي العهد بالغنى]

أعرابي^(١) وسأل قوماً قريبي العهد بالغنى فحرموه فقال:

مدحت عروفاً للندى مصت الثرى قريباً فلم تهتم بأن تنزعزعا
 نقائد بؤس ذقت الفقر والغنى وحلبت الأيام والدمهر أضرعاً
 سقاها إله الناس سجلاً على الظماً وقد كربت أعناقها أن تقطعاً

(١) هو أبو زيد الأسلمي.

فَضَمَّتْ بِأَيْدِيهَا عَلَى فَضْلِ مَائِهَا من الرِّيِّ لِمَا أَوْشَكَتْ أَنْ تَضْلَعًا
 وَزَهْدَهَا أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ فِي الْغِنَى مُقَاسَاتُهَا مِنْ قَبْلِهِ الْفَقْرَ جَوْعًا
 هذه الأبيات طريفة المعنى ، ومثلها قول الآخر :

سَأَلْنَا أَنَا سَاءَ حَاجَةً بَخِلُوا بِهَا ولم يكُ ذَا بَعْدِ مَدَاهِ عَسِيرُ
 وَهِيَ هَاتِ أَنْ يَأْتِيكَ بِالْخَيْرِ سَائِلُ بسَاقِيهِ لِلْكَلْبِ الْعَقُورِ عَقُورُ
 تزوج بعض الأعراب امرأة من الحضرم فلم تُرضه فقال :

لَعَمْرِي لِأَعْرَابِيَّةٍ فِي مِظَلَّةٍ تَظَلُّ بِرَوْقِي بَيْتَهَا الرِّيحَ تَخْفِقُ
 أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ضِنَاكَ ضِفْنَةٌ إِذَا وَضِعَتْ عَنْهَا المَرَاوِجُ تَعْرَقُ
 كَبْطِيخَةُ البِستَانِ يُرْضِيكَ رِيحُهَا صَحيحاً وَيبدو خُبْنُهَا حِينَ تُفْتَقُ
 مثله لآخر :

عَدِمَتْ نِسَاءَ المِصرِ إِنْ نِسَاءَهُ قِصَارُ هَوَادِيهَا عِظَامُ بَطُونِهَا
 فَلَا تُعْطِي فِي مِصرِيَّةٍ نِصفَ دَانِقٍ وَإِنْ ثَقَلَتْ أَرْدَانُهَا وَمُتُونِهَا
 ومثله :

تَقُولُ لَهُ رَاهِيَّةٌ ذَاتُ كِدْنَةٍ مَنفَخَةُ الجَنِينِ غِبْغِبُهَا شَبِيرُ
 تَعَالِ وَدَعْ نَجْدًا وَطِيبَ تَرَابِهِ إِلَيَّ فَلَا نَقْدُ عَلَيْكَ وَلَا مَهْرُ
 فَهَذِي خُدَامٌ وَكَأْسُ مُدَامَةٍ وَهَذِي أَنْمَاطٌ وَمَنْقُوشَةٌ صَفْرُ
 فَقلتُ لَهَا : مَتَّكْ نِفسُكَ حَاجَةً كِذُوبِ اللِّقَاءِ دُونَهَا جَبَلٌ وَعُرُ
 مثله لأعرابي أسدي :

قَالَتْ لَهُ مِرْزَاحَةٌ ذَاتُ بُرْفِيعٍ وَأَجْرِي أَدَلَّتْ بِالمِلاحةِ سَافِرُ
 أَنَحْنُ - فَهَاتِ الحَقَّ - أَحْسَنُ أَوْجُهَاً وَدَلَّأَمُ اللاتِ سِي لِهِنَّ الأَبَاعِرُ
 فَقلتُ : نِسَاءُ الحَيِّ أَحْسَنُ أَوْجُهَاً وَأَطِيبُ نِشْرًا حِينَ تَفْنَى الذَّرَائِرُ

طَلَّقَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ امْرَأَةً كَانَتْ لَهُ فَتَزَوَّجَهَا بَعْضُ بَنِي عَمِّهِ ، وَكَانَ
 بَيْنَهُمَا عداوة فقال زوجها الأول ، وكان اسم الذي تزوج بها فروة :
 هنيئاً على ما بيننا من عداوةٍ لفروةٍ وإدحٍ حلٍّ بطحاؤه سهلٌ
 شددتُ عليه الكور ثم ركبتهُ لفروة حتى ذلَّ واستوطن الرَّحْلُ

[معنى الأيمان الكاذبة]

أعرابي^(١) :

أَتَيْتَنِي سَلِيمٌ قَضَيْتُهَا وَقَضَيْتُهَا تَمَسَّحُ حَوْلِي بِالْبَقِيْعِ سِبَالِهَا
 يَقُولُونَ لِي : اْحْلِفْ ، قُلْتُ : لَسْتُ بِحَالِفٍ أَحَاتَلُهُمْ عَنْهَا لِكَيْمَا أَنَا لَهَا
 فَفَرَجَّتْ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحَالِفَةٍ كَمَا شَقَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَالَهَا

وجدنا لهم في الأيمان أشياء كثيرة يطول بها الكتاب إلا أن هذا النوع
 الواحد منها قليل ونحن نذكر بعض ما قيل فيه دون غيره لنذكر غيره في
 مواضع أخرى إن شاء الله فمن ذلك^(٢) :

سَأَلُونِي الْيَمِينَ فَارْتَعْتُ مِنْهَا لِيُعْرَوْا بِذَلِكَ الْارْتِيْعَاعِ
 ثُمَّ أَرَسْتُهَا كَمَنْحَدَرِ السَّيْلِ تَدَلَّى مِنَ الْمَكَانِ الْيَقَاعِ

وفي اليمين لآخر :

وَقَالُوا : الْيَمِينَ ، فَمَنْ لِي بِذَا ك يَالَيْتَهُمْ يَطْبُونُ الْيَمِينَ
 فَأَمْنَحَهُمْ حَلْفَةَ لَذَّةٍ تَنْجِي الْمَدِينِ وَتُرْدِي الْمَدِينَا

ولآخر^(٣) :

(١) هو الشماخ الذبياني .

(٢) البينان للبحري .

(٣) هو أخيل بن مالك الكلالي .

إذا حَلَّفُونِي بِالْإِلَهِ مِنْحَتُهُمْ
وإن حَلَّفُونِي بِالْعَتَاقِ فَقَدْ دَرَى
وإن حَلَّفُونِي بِالطَّلَاقِ رَدَدْتُهَا
ولآخر:

يمين كمثل مَوَاسِي المني
عملتُ بها في نِجاة المَدِينِ
ابن الدُّمَيْنَةِ:

وما ماء مُزْنٍ في هِضابٍ يَحْفُهُا
بأطيبٍ مِنْ فِيها اغْتِباقاً وإِنِّي
مناكبٌ مِنْ شَمِّ الذَّرَى ولُهُوبٌ
بشِيمٍ إذا أَبْصَرْتُهُ لُصِيبٌ

[معنى صفة الفم بالظن والتفرس]

أما هذا البيت الأخير فقد أكثر الشعراء فيه وما جود ابن الدمينية
أخذه ونحن نذكر أول من أتى به وبعض من جود وأحسن في تناوله فأول من
أتى به النابغة في قوله:

زعم الهمَّامُ بأنَّ فَاها طيِّبٌ
زعم الهمَّامُ ولم أدْفُهْ بأنَّه
عَذْبٌ إذا قَبَلْتَه قلتَ أزددِ
يُسْفَى ببردِ لثاته العَطشِ الصَّدِي
وأخذه المجنون فقال:

وتجلبو بِمِسْواكِ الأراكِ مُلْجِجا
وما ذُقْتُهُ إلا بَعِينِي تَفْرَساً
له أشرُّ عَذْبٍ مَتى ذاقَ ذائقُ
كما شِيمَ في أعلى السحابةِ بارِقُ
مثله (١):

(١) لسليك بن السلكتة .

وتجلبو بمسواك الأراكِ مفلجاً
أخذه بشارٌ فقال :

يا أطيّب الناسِ ريقاً غيرَ مُختبرٍ
وقد نظر إليه البحترى فقال :

وتعجبتُ من لوعتي فتبسّمتُ
وشبيه به قولُ ابن المعتز :

فلما انتهى قولُ السلامِ وردهُ
لفظنَ حديثاً عطرته الملائفُ

هذا البيت ليس هو المعنى نفسه وهو تجوُّزٌ فيه ، ومثله لأبي تمام :

تُعطيك منطقها فتعلمُ أنه
لجنى عُدويته يمرُّ بثغره

وأما من جوّده وأحكامه واحتجّ فيه بحجّة لا تدفعُ فأبو تمام بقوله :

بأبي فمُ شهد الضميرُ له
قبل المذاقة أنه عذبُ

كشهادةِ اللهِ خالصةٍ
قبل العيانِ بأنّه ربُّ

وقال الراجز :

وباردٍ عذب المذاق أثنى
ما ذقتهُ وليس ظنّي يكذبُ

مثله لبشار :

تجلبو بمسواكها عن باردٍ رتلٍ
كذلك خبرني مسواكها الأرجُ

مثله لحماد عجرد :

وأغرّ ذو أشرٍ وما إن ذقتهُ
شهدتُ بذاك عدوية المسواكِ

وهذا مثل معنى بيت بشار إلا أن بيت بشار أجود وأصحُّ وأخذه بعض

الكتاب فقال :

يخبرنا المسواكُ عن طيبِ ثغرها
بما لم يخبرنا به قطُّ ذائقُ
ومثله لابن الرومي:

وفم بارد المذاقة بالظنِّ
من ولم يختبر ولم يدقِّ
وأخذه عمارة بن عقيل فقال:

وأشهدُ عند الله يوم لقائه
بأن ثنانيا أمُّ سعدٍ لَطَائِمُ
وما ذاقها غيري ولا أنا ذُقْتُها
ولكنني بصحة الظنِّ عالمُ

وهذا معنى يطول ويتسع متى أردنا استغراقه ولا بد من ذكره في
مواضع إن شاء الله .

وقال ابن الدمينية:

ذكرتكَ والحدادُ يضربُ قَيْدَهُ
على السَّاقِ من عَوْجاءِ بادِ كعوبُها
فقلتُ لراعي السَّجْنِ والسَّجْنِ جامعُ
قبائلٍ من شتَّى وشتَّى ذنوبُها
ألا ليت شعري هل أزورنُ نسوةً
مضرجةً بالزعفرانِ جيوبُها
وهل القَيْنُ بالسُّدْرِ من أيمِنِ الحمى
مصحَّحةَ الأجسامِ مرَضَى قلوبُها
بهن من الداءِ الذي أنا عارفُ
ولا يعرفُ الأدويةَ إلا طبيبُها
عليهن مات القلبُ موتاً وجانبتُ
بهن نوى غيبٍ أشبَّ شعوبُها

قال ابن الدمينية، وزعم الزبير أنها لمزاحم بن عمرو السلولي:

أشافتك الهوادجُ والخدورُ
وبين الحَيِّ والظُّعْنِ البُكُورُ
وبيضُ يرثمين إذا التقينا
قلوبِ القومِ أعينهنَّ حورُ
هجانُ اللونِ أبكارُ وعونُ
عليهن المجاسدُ والحريُّ
إذا اطردت فنونُ الريحِ فيه
توشى المسكُ يارَاجُ والعبيرُ

بدونَ كأنَّهنَّ غَمَامٌ صِيفٍ
 فلما أن ركنَ تَنكَبْتَنَا
 نعم ، فبدا المَجْمَعُ من فؤادي
 يكلِّفني على الحِثانِ قلبي
 على حين انذَمَلْتُ وثاب حلمي
 كأن القلبَ عند ديار سلمى
 كذلك من أمانة قبل هذا
 إذا المتهانفُ الغرُوقُ يهوى
 وعند الغانياتِ لنا ديونُ
 تُريك مفلجاً عذبَ الثنايا
 وعينيَ ظبيَّةً بجِواءِ رملٍ
 فلو تولى نيتي لَعَلِمْتُ أني
 أديمُ لك المودةَ إن وصلني
 وأمنحكِ التي لا عارَ فيها
 أتانا بالمالِ كلِّمُ حداهُ
 عسودوا ينام ولا تراهُ
 فلو جاوبتني لَقَصَرْتُ عني
 ولو عاددتني لوجدت قومي
 إذا الجوزاءُ أُرْدِفَتِ الثُرياُ
 وياتت في مكامنها الأفاعي
 وجدت بقيةَ المعروفِ فينا

تهلَّلَ واكفَهَرَّ له صَيِّرُ
 جوافِلُ من ذوي الحاجاتِ زورُ
 وكاد القلبُ من وجدٍ يطيرُ
 نوى للحيِّ مطلبُها عسيرُ
 ولاح على مفارقي القَتيرُ
 سليمُ أو رهينُ دمِ أسيرُ
 ليالي أنتَ مقتبِلُ غريبُ
 زيارتنا ويكرهنا الغيورُ
 وفي ماوى القلوبِ هوى ضميرُ
 كلون الأفحوان له أشورُ
 يَضُوعُ فؤادها رشاً صغيرُ
 بمعروفٍ لفاعله شكورُ
 بأحسنِ ما ظننتَ به جديرُ
 كأن نسيبها بُرْدُ حبيرُ
 حجازي بطيته فخورُ
 ولو أبدى عداوته بصيرُ
 وأنتَ من المدى ناءِ حسيرُ
 هم الأشرافُ والعددُ الكثيرُ
 وعزَّ القطرُ وافتقد الصَّيرُ
 ولم يتكلم الكلبُ العقورُ
 مقيماً ما ثوى بمنى بُيرُ

[معنى وشاية الطيب والحلي]

أما قوله «إذا اطردت فنون الريح فيها . . . البيت فكثير جداً للمتقدمين وأكثر منه للمحدثين وقد افتنت الشعراء في هذا المعنى وخلطوا مع وشايا الطيب جرس الحلي وغير ذلك مما سنذكر بعضه في هذا الموضع وندع بعضه لموضع آخر، فمن ذلك قوله^(١):

من رقيبٍ وحاسدٍ وغَيُورٍ	طرقتني في خُفْيَةٍ واكْتِثَامٍ
سترتهُ من أمرنا المشهورِ	فأبان الحليُّ والطيبُ عمَّا
قيت عليها ومِسْكُها والعبيرِ	ليس شيءٌ أعدى لنا من يوا

مثله^(٢):

مكبساً من حُسنه وشُحَا	وبنفسِي شادِنِ خرقٍ
ثمَّ عنه المسكُ فافتضحَا	وإذا ما زار مَكْتَمًا

مثله^(٣):

يُبِّهَ كُلٌّ مَنْ رَقْدًا	لَهَا أَرَجٌ إِذَا زَارَتْ
إذا ما حاسدٌ هجدا	فما تخفى زيارتها

وشبيه بهذا وإن لم يكن هو بعينه قول التَّمِيرِي:

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنَ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ

بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفِرَاتٍ

ومثله قول الأعمى مولى هشام بن عبد الملك:

كِ وَمَا إِنَّ إِخَالَ بِالْخَيْفِ إِنْسِي	ليت شعري من أين رائحة المسدِّ
والبهليلُ من بني عبد شمسٍ	حين غابت بنو أمية عنه

(١) لابن أبي أمية .

(٢) لبيد .

(٣) لابن أبي أمية .

فأما الذي أبدع وجود في المعنى الأوّل فالبحتري بقوله :

فكان العبيرُ بها واشياً وجرسُ الحليّ عليها رقيباً

ما أحسن ما استعار حين جعل رائحة الطيب واشياً بها وصوت الحليّ رقيباً عليها، والذي أحسن أيضاً فيه كلُّ إحسان ابن أبي زُرعة في قوله :

فاستكثمتُ خلخالها ومشتُ تحت الظلام به فما نطقاً
حتى إذا ربح الصبأ نسمتُ ملاً العبيرُ بسرنا الظرفاً

ما أبينَ حدقَ هذا الشاعر في هذين البيتين إذ ذكر أنها استكثمتُ خلخالها سرها فلم ينطق لأن من سبيلهم مدح المرأة بصمت الخلخال والسوار لامتلاء الساق والذراع وجولان الوشاح لدقة الخصر فذكر أنها استكثمتُ خلخالها فلم ينطق لامتلاء ساقها فلما هب التسيم ذاع سرُّ زيارتها لرائحة الطيب في الطريق التي مشت فيها، ومثله لمسلم :

إذا ما مشتُ خافتُ نغمةَ حلّيتها تُداري على المشي الخلاخل والعطراً
ومن مליح هذا وجيده قول الصنوبري :

قلّ لطيفٍ سرى فحياً المطياً مُغرماً بي وكان قبلُ خلياً
هكذا كلما مضى الليل تمضي لبت ذا الليل لا يطيق مضياً
كلما زرت زورة في خفاء وأرى البدر لا يكون خفياً
نبة الطيب والحليّ علينا فاهجري الطيب طيبها والحلياً

ومثل هذا للعباس بن الأحنف وقد جود :

قلتُ: الزيارة، قالت وهي ضاحكةُ الله يعلمُ فيها كنه إضمري
فكيف أصنع بالواشين لا سلموا والعنبرُ الورد يأتهم بأخباري

مثله للتوبختي :

إذا كَتَمْتَ زيارَتَها أذاعَ الطيبُ ما كَتَمْتَ

فأَنطقَ السُّنَّ الواشِحِينَ لا كَانتَ ولا نطقتَ

وأجود من كلِّ ما ذكرنا قول البعيث :

إذا هي زارت بعد شَحَطٍ مِنَ النَّوَى وَشَى نَشْرُها لا مِسْكَها وَعِيبِها

هذا جعل نَشْرُها أذكى من المِسْكِ والعبير وهذا النهاية ، وما أقربُه من

قول امرئ القيس وإن لم يكن هذا المعنى بعينه :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كَلِمًا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِها طيبًا وإن لم تَطِيبِ

وقال ابن الدُّمَيْنة :

أبلغُ سلامَةَ أَنِّي لستُ ناسِئِها ولا مُطِيعُ بظَهَرِ الغَيْبِ واشِئِها

يأليتنا فردًا وحشٍ نعيشُ معًا نَرعى المِثانَ ونَحْفَى في فِيافِها

وكَيْتَ كَدْرُ القِطَا حَلْفَنَ سِبي وبِها دونَ السَّماءِ فَنَحْفَى في خَوافِها

قد حال دُونَ سَلِيمِي معشَرَ قَرَمٍ وهم -على ذاك- دُونِي من مَوايِها

أَكثَرْتُ مِنَ «ليتني» لو كان يَنْفَعُنِي ومن مَنى النَّفْسِ لو تُعْطَى أمانِها

إن الفِؤادَ لِيَهْوَى أنْ أناقِلَها رَجِعَ الكلامَ وإن عارتْ أَدانِها

ودُونِها قومٌ سوءٍ يَنْدِرُونَ دَمِي فالمرتُ إتيانُها والموتُ هَجْرُها

ياقاتلَ اللهُ سَلَمِي كيف تُعْجِبُنِي وأخبرَ النَّاسَ أَنِّي لا أبايِها

إتني لياخذُنِي من جِئِها عَرَصٌ عند الصَّلَاةِ فأنسى أنْ أصْلِيها

لنظرةٍ من سَلِيمِي اليومَ واحِدةٌ أشهى إليّ من الدُّنيا بما فيها

[معنى أمانِي المحب للتفرد بالحبيب مع البلاء]

أما قوله «يأليتنا فردا وحش . . .» البيتين فهو معنى قد اشترك فيه عدة

من الشعراء وما أقل زيادة بعضهم على بعض فيه ، أكثرهم يسأل ربّه أن يجعله والتي يحبّ جميلين أجريين يُطردان عن المياه ويُقدّان بالحجارة عن المناهل وبعضهم يتمنى أن يكون غزالا والتي يهوى ظبية في برية خساف حيث لا يراها أحد ولا يُسمع لهما خبر ، وهذا أصلح أمنية من الأوّل إلى أشياء كثيرة من هذا النوع ونحن نذكر بعضها ، فممنّ تمنى أن يكون جملاً والتي يحبّ ناقة الفرزدق :

ألا ليتنا كنا بعييرين لا نردُ على منهلٍ إلا نشلُ ونُقذفُ
 كلانا به عريخاف قرافهُ على الناس مطلي المشاعر أخشفُ
 وباليتنا كنا جميعاً بقفرةٍ من الأرض لا يجتازها المتعسفُ
 ولا زاد إلا فضلتنا سلفة وأبيضُ من ماء المدامة قرقفُ
 وأشلاء لحم من جباري يصيدها إذا نحن شئنا صائد متألفُ
 ومثله لآخر (١) :

ألا ليتنا والله من غير ريبه بعييران نرعى القفر مؤتلفان
 إذا ما أتينا حاضراً صاح أهله وقالوا: بعيراً عرّة جربان
 فأمّا الذي أشبع هذا المعنى وتمنى فيه الأمانى الطريفة كثير بقوله :

ألا ليتنا ياعزّ كنا لذي غنى بعييرين نرعى في الخلاء ونعزّبُ
 نكون بعييري ذي غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلبُ
 كلانا به عرف فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تُعدى وأجربُ
 إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله علينا فما نتفك تُرمى ونضربُ
 وددتُ وبيت الله أنك بكره هجان وأتي مُصعب ثم نهزّبُ

(١) هو عروة بن حزام .

والذي دعا الشعراء إلى هذه الأمانى حتى تمنّوا أن يكونوا جمالاً جربة
 وغير ذلك من الأمانى التي لا يريدها الناس التفرد وأن لا يأخذهم أحدٌ
 للجرب الذي بهم لأن العرب لا تبغض شيئاً بغضها الجرب ولا تحذر من
 شيء حذرها منه، وقال آخر في هذا المعنى وإن لم تكن أمنيته أن يجعله الله
 جملاً أجرب ومن يهوى ناقة جرباء:

ألا ليت آتي والتي لا تحبني وحيي لها باقٍ إلى يوم أرمس
 غزالان جوالان في صحن مهمه وليس به من سائر الناس مؤنس
 مثله:

ألا ليتنا يامي في رأس شاهق من الطود لا يعلوه كل سحاب
 ويسدي لنا رب السموات رزقنا فأرزاقه تأتي بغير حساب
 مثله لآخر:

ليت آتي والذي أهواه في فج عميق
 حيث لا يبلغنا الرعد ولا لمع البروق
 لا ولا يعرف مخلو ق لنا سمت طريق
 زادنا طيب صبوح من لثسام وغبوق
 فذكرنا من هذا المعنى ما هنا ما فيه مقنع ولا بد من ذكرنا منه في
 أضعاف الكتاب.

[معنى ذكر الحبيب في الصلاة]

أما قول ابن الدمينه «إني ليأخذني من حبها . . . البيت فهو مأخوذ
 من قول ذي الرمة:

أصليّ فما أدري إذا ما ذكرتها
وما بي إشرارك ولكن حبها
وإليه نظر ابن الأحنف بقوله:
أصليّ فأهذي في الصلاة بذكرها
أريد لأنسى ذكرها فكأنما
هذا البيت بأسره لكثير وهو:
أريد لأنسى ذكرها وكأنما
وما ندري ما دعا العباس مع ظرفه وأدبه وصلاحيّة شعره إلى أخذ
بيت كثير بأمره من غير تضمين ولا جهل منه .
قال ذو الرمة:

وقسنا فسلمنا فكادت بمشرف
تجيش إليّ النفس في كل موقف
وإنسان عيني يحسر الماء تارة
لعرفان صوتي دمنة الدار تنطق
لمي ويرتاع الفؤاد المشوق
فيبدو وأحياناً يجم فيغرق

[معنى «كادت دمنة الدار تنطق»]

ونظر البحثري إلى بيت ذي الرمة الأوك فقال:
جسنا نحبي من أثيلة منزلاً
أدى إليّ العهد من عرفانه
جدداً معاله بذى الأنصاب
حتى لكاد يرد رجع جوابي

[معنى حسر الدموع وإجمامها]

أخذه جبران العود فقال:

نظرتُ كسائِي من وراء زجاجة إلى الدَّار من فرط الصبابة أنظرُ
فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ الْبِكَاءِ فَأَعَشَى وَطَوْرًا تَحْسُرَانِ فَأَبْصِرُ
فَرَوَى النَّاسَ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ وَأَغْفَلَ بَيْتِي ذِي الرَّمَّةِ وَهُمَا الْأَصْلُ، وَمَنْ
أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلَ الْآخَرِ:

غَلَبَتْ عَيْنِي الدَّمْعُ فِإِنْسَا نِي كَلِيلٌ يَبْدُو مِرَارًا، وَيَخْفَى
فَكَأَتِي أَرَاكَ مِنْ خَلْفِ سِتْرِ هَزَّتِ الرِّيحُ مُتَنَّهُ فَتَكْفَى

وقد زعم قوم من العلماء أن الشعر الذي كتبنا للشنفرى [هو] لخلف
الأحمر، وهذا غلط، ونحن نذكر الخبر في ذلك: أخبرنا الصولي عن أبي
العيناء قال: حضرت مجلس العتبي ورجل يقرأ عليه الشعر للشنفرى حتى
أتى على القصيدة التي أولها:

إِنِّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتَيْلًا دَمُهُ مَا يُطَلُّ

فقال بعض من كان في المجلس: هذه القصيدة لخلف الأحمر،
فضحك العتبي من قوله، فسألناه عن سبب ضحكك، فقال: والله ما قال أبو
محرز خلف من هذه القصيدة بيتاً واحداً، وما هي إلا للشنفرى، وكان لها
خبر طريف لم يبق من يعرفه غيري، قلنا: وما خبرها؟ قال: جلسنا يوماً
بالمربد ونحن جماعة من أهل الأدب ومعنا خلف الأحمر، فتذاكرنا أشعار
العرب، وكان خلف الأحمر أروانا لها وأبصرنا بها، فتذاكرنا منها صدراً،
ثم أفضينا إلى أشعارنا فحُضِنَا فِيهَا سَاعَةً، فَبَيْنَا خَلْفٌ يُنْشِدُنَا قَصِيدَةً لَهُ فِي
رُوي قَصِيدَةَ الشَّنْفَرِي هَذِهِ وَقَافِيَتَهَا يَذْكُرُ فِيهَا وَلَدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ]
وَمَا نَالَهُمْ وَجَرَى عَلَيْهِمْ مِنَ الظُّلْمِ إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا الْأَصْمَعِيُّ، وَكَانَ مُنْحَرَفًا
عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] وَقَدْ أَنْشَدَ خَلْفٌ بَعْضَ الشَّعْرِ فَلَمَّا نَظَرَ
الْأَصْمَعِيُّ قَطَعَ مَا كَانَ يَنْشُدُ مِنْ شَعْرِهِ وَدَخَلَ فِي غَيْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الْوِزْنِ
وَالْقَافِيَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِيْنَا أَحَدٌ عَرَفَ هَذَا الشَّعْرَ وَلَا رَوَاهُ لِلشَّنْفَرِي، فَتَحْيِرْنَا

لذلك وظنناه شيئاً عمله على البديهة ، فلماً انصرف الأصمعي قلنا له : قد عرفنا غرضك فيما فعلت وأقبلنا نُظريه ونقرّظه فقال : إن كان تقرّظكم لي لأنّي عملتُ الشعرَ فما عملتهُ والله ولكنّه للشنفرى يرثي تأبّطُ شراً ، ووالله لو سمع الأصمعي بيتاً من الشعر الذي كنت أنشدكموه ما أمسى أو يقوم به خطيباً على منبر البصرة فيتلّف نفسي ، فادعاءُ شعر لو أردت قول مثله ما تعذّر عليّ أهونُ عندي من أن يتّصل بالسلطان فألحقُ باللطيف الخبير . قال أبو العيّن : فسألنا العتبيّ شعرَ خلف الذي ذكر فيه أهل البيت عليهم السلام فدافعنا مدّة ثم أنشدنا :

قَدَكْ مَنِّي صَارْمٌ مَا يُقَلُّ	وَابْنُ حَزْمٍ عَقَّـدُهُ لَا يُحَلُّ
يَنْثَنِي بِاللُّومِ مِنْ عَادِلِيهِ	مَا يُيَالِي أَكْثَرُوا أَمْ أَقَلُّوا
لِرَسُولِ اللَّهِ فِي أَقْرَبِيهِ	وَبَنِيهِ حَيْثُ سَارُوا وَحَلُّوا
عِنْدَهُ مَكْنُونٌ نُصَحِ وَوُدُّ	خَالِصٌ لَمْ يَقْتَدِحْ فِيهِ غَلُّ
أَهْلِ بَيْتِ مَا عَلَى جَا حِدِيهِمْ	حَقَّقَهُمْ فِي الزُّبُرِ الْأَيَّضِلُّوا
صَفْوَةَ اللَّهِ الْأَكْمَى مِنْ لَدُنْهُ	لَهُمُ الْقَدْرُ الْأَعَزُّ الْأَجَلُّ
مَا أَطَاعَ اللَّهُ قَوْمٌ تَوَلَّوْا	مِنْ سِوَاهُمْ بَلْ عَصَوْهُ وَضَلَّوْا
وَبِهِمْ شِقُّ دُجَى الْغَيِّ عَنْهُمْ	وَعَلَى الْإِيمَانِ وَالِدَيْنِ دَلُّوا
وَبِهِمْ صَبَّتْ عَلَيَّ كُلُّ بَاغٍ	بِأَذْخِ الْعِزِّ صَغَارٌ وَذُلُّ
غَضَبِهِمْ حَقَّقَهُمْ وَاسْتَحَلَّوْا	ظَالِمِهِمْ مِنْهُ مَا لَا يُحَلُّ
وَاقْتَدَوْا فِيهِمْ بِمَا سَنَّ رَجَسٌ	بَارَزَ اللَّهُ زَنْيِمٌ عَتَلُّ
لَمْ يُرَاقِبْ خَشِيَةَ اللَّهِ فِيهِمْ	أَصْرٌ مِنْنَهُ وَلَمْ يُرِعْ إِالُّ
فَهُمْ شَتَّى قَتِيلٍ صَرِيحٍ	دَمُهُ فِيهِمْ حَذَارٌ يَطَلُّ
وَأَسِيرٍ فِي طَمَارٍ عَلَيْهِ	مِنْ حَدِيدِ الْقَيْنِ كَبَلٌ وَغَلُّ

ومُقيمٌ خاشعٌ في عدوِّ
 لا على جرمٍ ولا عن شقاقٍ
 غير أن فاء على ظالمِيهم
 وأن أوفوا بالنبي المصطفى
 وبنى الله لهم بيتاً مجدياً
 في جميلٍ بارك الله فيه
 وارثو مخزونٍ علمٍ عليه
 وعلي ذو المعالي أبوهم
 علمُ الدين الذي من تلامه
 وأمير المؤمنين المرجي
 باسط كفيهِ فيهم بعدلٍ
 عن سماءٍ لهم كل يومٍ
 وشهابٍ الله في كل خطبٍ
 حيث يلقي في ظلال المنايا
 جسدٌ يعفوه طيرٌ عكوفٌ
 مكنزٌ فيه من بعد حولٍ
 بطلٌ أغلبٌ في راحتيه
 يكره الأبطال منه ابن موتٍ
 يحمد العضبُ اليماني شظاه
 فكان النقع ينشام عنه
 قد غدا يُضمر بغضاً ويدي

مُتَضَامٌ بينهم مُستذَلُّ
 ركبوا الدحض إليهم فزلوا
 بهم للملك فيءٌ وظلُّ
 جدهم ما أثره لا تقلُّ
 فطرةُ الدين به تستظلُّ
 لم ينل ما خوَّطوه جبلاً
 كلُّ ذي علمٍ عيالٌ وكلُّ
 كرمٍ السامي به والمدلُّ
 سالكٌ سبيل الهدى لا يضلُّ
 فضله مُسرِّيهم والمقلُّ
 وصبيرٌ صوبه مستهلُّ
 ديةٌ منه ووبلٌ وظلُّ
 وحُسامٌ الله والنقعُ يعلو
 كلُّ لَيْثٍ باسلٍ وهو قلُّ
 وضوارٍ شرعٌ فيهِ زلُّ
 للضبِّاع العرُج لحمٌ مُصلُّ
 للقنا والبيض نهلٌ وعلُّ
 لا يملُّ الحرب حتى يملوا
 في الوغا والسمهري التلُّ
 ضيغمٌ جهمُ المحيا رقلُّ
 بغضةٌ أضغانها لا تسلُّ

شاور النكراء في الله منه
 لا الرقعى تردع منه ولا من
 موطن من عهد لقمان عاد
 متحام لا يؤدى إليه
 كسييس الجزل إلا فحيحاً
 لو مضت عالية الرمح فيه
 أو نمت أذرع ألف إليه
 كلما مد المطا وتمطى
 عد إلى مدح الذين عليهم
 خير من حبت بهم ذات لوث
 في مهارى ذبل كالسعالى
 عامدى الكعبة من كل فج
 شائك الأنياب يقظان صل
 مس حدد الأتاب منه بيل
 دونه من قفل الحزن تل
 نبس الإنسان ولا الجن حل
 يصهر المرء به أو ميل
 ما تغشى الليط منه مبل
 رجعت عن نفثه وهي شل
 فحصى المعزاء منه يصل
 من يمين الله ظل فظل
 دامياً للجهد منها الأظل
 تحت شعث قد أكلوا وكلوا
 كلما أعرض شخص أهلوا
 كتبتنا هذه القصيدة بأسرها لأنها في سادتنا [عليهم السلام] ولأنها
 أيضاً غريبة لا يكاد أكثر الناس يعرفونها .

[معنى لا إصلاح بعد الأربعين]

الأعور العبدى^(١):

إذا [مسا] المرء قصر - ثم مرت
 ولم يلحق بصالحه فدعه
 عليه الأربعون - عن المعالي
 فليس بلاحق أخرى الليالى

(١) هو الأعور الشني العبدى؛ بشر بن معاذ بن عبد القيس .

أخذ هذا المعنى الخريبي فقال^(١):

إذا المرءُ وفي الأربعين ولم يكنْ له دون ما يهوى حياءٌ ولا سترٌ
فدعهُ ولا تنفسِ عليه الذي أتى وإن جسرَ أذيالِ الحياةِ له الدهرُ

[معنى هجاء الضيوف]

حميد الأرقط وكان هجاءً للضيوف:

أوائبُ ضيفي حين يُقبل طارقاً سيّفي ولا أرضى بما صنع الكلبُ
وأضربهُ حتى يقول: قتلتني على غير جرمٍ، قلتُ قلّ لك الضربُ
وله أيضاً:

إذا ضافني ضيفٌ سلبتُ ثيابهُ وإن كان ذا طرفٍ أقام على الخسفِ
أحذرةٌ أن لا يعود لثلها فإن عاد عدنا في الجهالة والعنفِ
مثله لغيره:

وإننا لنجفُو الضيف من غير عسرةٍ مخافة أن يضربنا فيعودُ

حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور المعروف بابن الخياط النحوي [رحمه الله] قال: أخبرني صعوداً قال: كنا في مجلس أبي بكرمة الضبي، وكان أعلم الناس بأشعار العرب وأرواهم لها على شراسة كانت في خلقه، فرأيناه نشيطاً.

[أطبع قصيدة للعرب]

قال صعوداً: فلما رأينا نشاطه سألناه عن أطبع قصيدة للعرب وأحسنها رونقاً وأكثرها ماءً، فقال لنا: قد أكثرتم وأطلتم وسأنشدكم قصيدة

(١) البيتان لأمين بن خريم الأسدي.

كما قلتُ وأنا أُعْطِي الله عهداً أن عرفْتكم من قالها، قالوا: نرضى بذلك،
فأنشدنا:

أَلَا مَا لِعَيْنِكَ مَطْرُوفَةً بذكر الخيال الذي زارها
لذكر خيال سرى موهناً فهاج على العين عوارها
تجاوزَ نحوي هَوْلَ النُّجُودِ وسهل البلاد وأوعارها
فثبتُ به جَدلاً ليلتي إلى أن تبينتُ أسحارها
فلما انتبهتُ وجدتُ الخيالَ أمانِي نفسٍ وتذكارها
وفاض من العين مُغْرورِقٌ من الدَّمْعِ الثَّقِ أَشْفَارها
لذكر التي دون أبنائها تنائفُ تقطعُ مُزْدَارها
وساج من البحر مُغْرورِقٌ ينهني دوني أخبارها
نزورُ الكلامَ قطيعُ القيا لم يُظلمِ لهم أسهارها
ولم تثتُ في صرمةٍ بالغضا ولا الحزنُ تنظرُ ميارها
كأنَّ سُخَامِيَّةً عتقتُ ثلاثينَ حوْلاً وأعصارها
لقيصرَ لم يُغْلِها طابيحُ ولم يُتعبِ الوطءُ عصارها
فأصغى بعقوته نفسه ولم يدعُ للبيعِ تجارها
يعلُّ بها بردُ أنيابها إذا انتابتِ الطيرُ أوكارها
فيآيتها ساعفتُ بالوصو لِقْتاً وحملتُ أوزارها
وكفني لها الرهنُ أن لا أخونَ وأن لا أضيعَ أسرارها
متى ما أنزلُ ودَّها صافيا فقد قضتِ النَّفسُ أوطارها
وكنا ونحنُ لها جيرةُ يطولُ تجنُّبنا دارها
حياءً على أنني استجنُّ عليها وأغبطُ زوارها

أطال فوادي إضمارها
لغيري تنزل أمطارها
بوادي العقيقين حضارها
ب سحْب الذبولِ وتجرأرها
وتفري من الغيظ أطمأرها
ورمي بنفسي أقطارها
وأن لست أحفل إكثارها :
مقال النساء وتأمارها
ولا النفس تسبق مقذارها
بل الله يكتب إنشأرها
إذا الألبس أطرأرها
ه لم يلج الضح أبشارها
وأدعو إلى اللهو أبقارها
إذا هي لم تخم أدبارها
ونقض الأمور وإمرارها
أكفكف بالصمت مهذارها
وحلاك بيد سنارها
قلوصي ولم ادع أينسارها
كمن يكسع الشوك أغبارها
حلبت المعيشة أشطارها
تخيرني الجن أشعارها

إذا أنا أبنتها حاجة
أرتني مخايل يعجبتني
فياليت شعري هل أبصرن
وهل أشهدن بتلك الهضا
وعاذلة باكرتني تلوم
تخاف علي اجنيابي البلاد
فبقلت لتعلم ما نيتي
أعاذل مهلاً فقدما عصيت
دعيني فلا أنا أرجو الخلود
وليس القعود بمنجي النفوس
وأرض قطعت بلا صاحب
لهوت ببيض حسان الوجو
كمثل الجاذر يلهيتني
وخيل هديت وخيل حميت وما
وما زلت منذ فهمت الشؤون
لزاز خصوم إذا أجلبوا
وكشاف هوك وركابه
عقرت لهم عند إرمالهم
ولم أك إذ خفت إرمالهم
فهذا بلائي وإني امرؤ
وكنت إذا ما أردت القرىض

أرُوضُ صِعَابِ قِوَافِي الْقَرِيضِ حَتَّى تَذَلِّ فَأَخْتَارَهَا
قِوَافٍ يورُدُهَا صَاحِبِي إِلَيَّ وَأَكْفِيهِهِ إِصْدَارَهَا

قال صعوداً: فوالله لقد جهدنا به كل الجهد أن يعرفنا من قائل هذا الشعر فلم يفعل، فلماً حضرته الوفاة كتب وصيته. فقلت له: ما لتلك القصيدة في قلبي حلاوة حتى أعرف قائلها، فإن رأيت أن تعرفني من قالها. فضحك لي وقال: قد كنت أتوهمك موضعاً للوصية، وأما الآن فما أرى لك عقلاً، انبذ إلي كتاب الوصية. أتراني كنت في حال من الأحوال أسوأ أخلاقاً مني وأنا أستبين الموت في حركاتي، والله لا عرفت قائلها مني أبداً. هات الوصية وقم، فأخذها مني وانصرفت ومات في آخر يومه.

حدثنا الصولي عن أبي العيناء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن إبراهيم الليثي قال: حدثنا محمد بن معن الغفاري قال: أقحمت السنة ناساً من الأعراب فحلوا المذار فأبرقوا^(١) فإذا غلامٌ منهم قد عاد جليداً وعظماً وهو رافع عقيرته يتغنّى بأبيات قالها عند نظره إلى البرق وهي:

الأيَا سَنَا بَرَقِ عَلَيَّ قُلُّ الْحَمِي	ليهنك من برق علي كسريم
لمعتُ اقتداء الطير والقوم هُجِعُ	فهيجت أحزاناً وأنت سليم
فبتُّ بحد المرفقين أشيمه	كأني لبرق بالستار حميم
فهل من مُعِيرِ طَرْفِ عَيْنِ خَلِيَّةٍ	فإنسان عين العامري كليم
رمى قلبه البرق اليماني رمية	بذكر الحمي وهنأ فكاد يهيم

فقلت: يا غلام! في دون ما بك ما يُفحِم عن الشعر، فقال: أجل ولكن البرق أنطقني، قال: فما مكث يومه ذلك حتى مات.

(١) أبرقوا، أي: جاءهم البرق.

[معنى الاستعانة في البكاء بالغير]

أما قوله «فهل مع غير» البيت فهو مثل قول العباس :

نزع البكاء دموعَ عينك فاستعِرْ عيناَ لغيرك دمعُها مدرارُ
 من ذا يُعيرك عينه تبكي بها أريتَ عيناَ للبكاء تُعارُ
 وقريب منه قول الآخر :

ولي كبدٌ مقروحةٌ من ييعني بها كبدٌ ليست بذاتِ فروح
 أبى الناسُ - وِيبَ الناسِ - لا يشترُونها ومن يشترِي ذا عرةٍ بصحيح

[نوع خاص من الهجاء]

لآخر يهجو :

لو كنت ريحاً كانت الدأبورا أو كنت غيماً لم يكن مطيراً
 أو كنت ماءً لم يكن ظهوراً أو كنت مخاً كنت مخاً ريرا

مثله لآخر :

لو كنت ماءً لم تكن بعذب أو كنت سيفاً لم تكن بعضب
 أو كنت لحماً كنت لحم كلب أو كنت عيراً لم تكن بنذب

مثله لآخر :

لو كنتم شواءً لكنتم نقداً أو كنتم ماءً لكنتم زبداً
 أو كنتم طيراً لكنتم صرداً أو كنتم عدلاً لكنتم ثمداً
 أو كنتم صوفاً لكنتم قرداً أو كنتم لحماً لكنتم غدداً

أعرابي من بني أسد قصر به ماله عن التزوج فقال :

زعم الكواسدُ أنني مُتزوجٌ منهن أو متعزَّبٌ فمُطيلٌ
يارب إن تعزَّباً أختسارهُ إن كان ليس إلى الملاح سبيلٌ
وغالى أعرابي في امرأة فلامه قومه وعنفوه فقال :

يقولون قد أغليتها قلت إنما يُسامي غلاء المهر من كان غاليا
لعمري لقد أغليتها وهي أهله على حين راع الشيب مني الغوانيا
مثله لآخر :

ابتعت طيبة بالغلاء وإنما يُعطي الغلاء بمثلها أمثالي
وتركت أسواء القباح لأهلها إن القباح وإن رخصن غوالي
أبو الجوين العبسي :

إني امرؤ ما تستقر دراهمي على الكف إلا عبارات سبيل
أحكّم فيها الحق حتى أدلها إذا زاد عنها الحق كلُّ بخيل
مثله للغطمش الضبي :

ومن يك كفه لمال سجننا فكفي للدرهم كالسبيل
يمرُّ الدرهم الصيَّاح فيها جواداً ما يعرِّج للمقيل
ذو الرمة :

وأشعت مثل السيف قد لاح جسمه وجيف المهاري والهوم الأبعاد
سقاء الكرى كأس النعاس فرأسه لدين الكرى من آخر الليل ساجد
مروان بن مالك الحنفي :

دلّقتنا إليهم والسيوف عصينا وكلُّ لكل يوم ذلك وأكر
بجمع تظل الأكم ساجدة له إذا هزّزتها في المسير الحوافر

كلا ثَقَلَيْنَا طامعٌ في غنيمَةٍ
 فلم أر يوماً كان أكثرَ سَالِباً
 وأكثرَ منّا ناشئاً يبتغي العُلَى
 وقد قدرَ الرحمنُ ما هوَ قادرٌ
 ومُستَلَباً والنَّقَعُ في الجَوَانِرُ
 يُضاربُ قِرناً دارِعا وهوَ حاسِرٌ

إلى البيت الأخير نظر البحري بقوله :

قطع القرائن واللواءَ لغيره
 بالمشرفية حُسرًا في الدرِّعِ
 حرَمَلَةُ بنُ مِقَاتِلِ :

الأطرقتنا أم سلمٍ فأرقتُ
 وليلٍ بهيمٍ قد تجشمتُ نحوها
 فَمَنْ بائعي عينا بعينٍ مريضةٍ
 وما ضربَ في رأسٍ صعبٍ مُمرِّدٍ
 بأطيبٍ من فيها لمن ذاقَ طعمه
 إذا اعتلَّتْ الأفواهُ واستمكنَ الكرى
 وما ذقتُ فاما غيرَ حالِ رجوتُهُ
 فيا حَبْدًا إمامها وطروقها
 وهاجرةٍ شهباءٍ حامٍ وديقها
 ونفساً بنفسٍ في وثاقٍ طليقها
 بتنهاته يستتزل العُمرَ نيقها
 وقد جفَّ بعدَ النومِ للنومِ ريقها
 وقد حان من نجمِ الثريا خفوقها
 الأربُّ راجي شربةٍ لا يذوقها

[معنى الاستعانة في البكاء بالغير]

أما قوله «فمن بائعي» البيت، فبیتٌ جيّدٌ متساوي القسمين صحيح
 الصِّدْر والعَجْز. شبيه به وإن كان دونه قول العامري :

فهل من معير جفنَ عينِ خَلِيَةٍ
 فلإنسانُ عينِ العامريِّ كليمٌ
 وأخذه ابن الأحنف فقال «نزف البكاء دموع عينك» البيهقي، ومثله
 لآخر:

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعيها بها كبداً ليست بذات فُروح
أباها عليّ النَّاسُ لا يشترُونَهَا ومن يشتري ذاك علته بصحيح

[معنى صفة الفم]

وأما قوله في صفة الفم «إذا اعتلت الأفواه» البيت فما نعلم أن أحداً من المتقدمين ولا المحدثين جود في هذا المعنى وأبدع وأتى بما لم يأت به غيره ولا يقدر عليه سواه غير ابن الرومي فإنه أبدع وطرف وملح بقوله :

تَعْتَبُ بالسواك أبيض صافياً	تَكَادُ عَدَارَى الدَّرْمَنِ نَحْدَرُ
وما سرَّ عِيدَانِ الأَرَاكِ بِرِيقِهَا	تَنَاوَحُهَا فِي أَيْكِهَا تَهْصِرُ
لئن عدمت سقيا الثرى إن ريقها	لَأَعَذَّبُ مِنْ هَاتِيكَ سُقِيَا وَأَخْصِرُ
وما دُفِئَتْهُ إِلَّا بِشِيمِ ابْتِسَامِهَا	وَكَمْ مَخْبِرٌ يُبْدِيهِ لِلْعَيْنِ مَنْظَرُ
بدالي وميض شاهد أن صوبه	غَرِيضٌ وَمَا عِنْدِي سِوَى ذَلِكَ مَخْبِرُ
ولا عيب فيها غير أن ضجيعها	وَإِنْ لَمْ تُصِبْهُ السَّاهِرِيَّةُ يَسْهَرُ
تذود الكرى عنه بنشر كأنما	تَضْرِبُهَا مِسْكَ ذَكِيٍّ وَعَنْبَرُ
وما تعتريها آفة بشرية	مِنَ النَّوْمِ إِلَّا أَنَّهُمَا تَتَجَبَّرُ
وغير عجيب طيب أنفاس روضة	مُنْوَرَةٌ بِبَاتَاتِ تَرَاخٍ وَتُمْطَرُ
كذلك أنفاس الرياح بسحرة	تَطْيِبُ وَأَنْفَاسُ الأَنْبَامِ تَغْيِرُ

هذه الأبيات النهاية في هذا المعنى .

[في صفة الحباء]

وأشدنا ابن دريد وذكر أنه أحسن ما وُصِفَ به حِبَاءٌ ولقد صدق في ذلك ، والشعر لطيفٌ لبِ بنِ عَوْفِ العَنَوِيِّ وهو الذي يقال له طُفَيْلُ الحَيْلِ :

وَيَت تَّهَبُ الرِّيحُ فِي حَجَرَاتِهِ
 سَمَاوَتُهُ أَسْمَالُ بُرْدٍ مُعْرَفٍ
 وَأَطْنَابُهُ أَشْطَانُ جُرْدٍ كَأَنَّهَا
 يَكْفُ عَلَى قَوْمٍ تَدْرِي مَاحُهُمْ
 وَفِينَا تَرَى الطُّورَى وَكُلَّ سَمِيدَعٍ
 طَوِيلِ نَجَادِ السَّيْفِ لَمْ يَرْضَ خَطَّةً
 وَفِينَا رِبَاطُ الْخَيْلِ كُلِّ مُطَهَّمٍ
 وَكُمْتًا مُدْمَاءَةً كَانَ مُتُونَهَا
 وَهَعْنُ الْحَصَى حَتَّى كَانَ قَضَاضُهُ
 يُبَادِرُنَ بِالْفَرَسَانِ كُلِّ نِيَّةٍ
 إِذَا انْقَلَبَتْ أَدَّتْ وَجَبُوهَا كَرِيمَةً
 خَدَّتْ جَوْلَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ وَسَوَّقَتْ
 وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ فَمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا
 بَارِضٍ فَضَاءٍ بِأَبْنِهِ لَمْ يُحْجَبِ
 وَصَهْوَتُهُ مِنْ أَنْحَمِيٍّ مُعْمَقِبِ
 صُدُورُ الْقَتْنَا مِنْ بَادِيٍّ وَمُعْصَبِ
 عُرُوقِ الْأَعَادِي مِنْ غَرِيرٍ وَأَشْيَبِ
 مَدْرَبِ حَرْبٍ وَابْنِ كُلِّ مُدْرَبِ
 مِنَ الْحَسَفِ خَوَاضٍ إِلَى الْحَرْبِ مِحْرَبِ
 رَجِيٍّ كَسِرْحَانِ الْفَضَا التَّوَابِ
 جَرَى فَوْقَهَا وَاسْتَشْعَرَتْ لَوْنُ مَذْهَبِ
 ذَرَى بَرْدٍ مِنْ وَابِلٍ مَتَحَلِّبِ
 جُنُوحًا كَفِرَاطِ الْقَطَا الْمُنْشَرَّبِ
 مُحْبِيَّةً أَدْبِيْنَ كُلِّ مُحْبَبِ
 مَرَادًا وَإِنْ تُقَرَّعَ عَصَا الْحَرْبِ تُرْكَبِ
 وَيَعْرِفُ لَهَا أَيَّامَهَا الْخَيْرُ يَعْقِبِ

هذا البيت مأخوذ من قول امرئ القيس :

والخيرُ ما طلعت شمسٌ وما غربتُ
 معلقُ بنواصي الخيلِ معصوبُ
 وقول النبي ﷺ أصح الأقاويل يُشبهه هذه الأبيات وهو «الخَيْرُ ما طلعت
 الشمسُ وما غربتُ معلقُ بنواصي الخيلِ».

وللشعراء في ذكر القلاع وصفاتها أشعار تكثر وتتسع . ونحن نذكر
 منها ههنا شيئاً مما نختاره ، فمن جيد ذلك قول كعب الأشقرى أو غيره من
 شعراء خراسان في أيام الفتوح ، يقول في قلعة افتتحها المسلمون :
 محلقةٌ دون السماء كأنها غمامةٌ صيفٍ زال عنها سحابها

فما يلحق الأروى شماريخها الدثى
 وما روعت بالذئب ولدان أهلها
 ولنا في صفة القلعة أيضاً قصيدة أنفذناها إلى الأمير سيف الدولة،
 رضي الله عنه، إلى الشام:

وخرقاء قد تاهت على من يرومها
 يزر عليها الجور جيب غمامه
 إذا ما سرى برق بدت من خلاله
 فكم ذي جنود قد أماتت بغصّة
 سموت لها بالرأي يشرق في الدجى
 فأبرزتها مهتوكة الجيب بالقنا
 بمرقبها العالي وجانبها الصعب
 ويئسها عقداً بأنجمه الشهب
 كما لاحت العذراء من خلل الحجب
 وذي سطوات قد أبانت على عتب
 ويقطع في الجلى ويقدع في الهضب
 وغادرتها ملصوقة الخد بالترب

ولنا إليه رحمه الله قصيدة أخرى في هذا المعنى أنفذناها إليه إلى
 الشام:

وقلعة عائق العيوق سيفلها
 لا تعرف القطر إذ كان الغمام لها
 إذا الغمامة راحت خاض ساكبها
 يمد من أنجم الأفلاك مرقبها
 على ذرا شامخ وعر قد امتلأت
 له عقاب عقاب الجوحائمة
 ردت مكايدهم أملاك مكايدها
 أو طأت همتك العلياء هامتها
 ولم تقس بك خلقا في البرية إذ
 وجاز منقطة الجوزاء عاليها
 أرضاً لو طأ قطرته موأشيهما
 حياضها قبل أن تهمي عزاليها
 لو أنه كان يجري في مجاريها
 كبراً به وهو مملوء بهاتيهما
 من دونها فهى تخفى في خوافيةها
 وقصرت بدواهيهم دواهيها
 لما جعلت العوالي من مراقيها
 رأت قسي الردى في كف باريةها

قدم رجلان من بني زبيد لدم أصابا في قومهما إلى سنجار فأقاما بها
مدة ثم شربا بها يوماً ومعهما رجل من التمر بن قاسطٍ فلما سكرَا اشتقا
بلدَهما وحنَّا لذلك فقال أحدهما :

أيا جبلي سنجار ما كنتما لنا
مقيظاً ولا مشتي ولا متربعا
ويا جبلي سنجار هلا بكيتما
لداعي الهوى منا شنينين أدمعا
ولو جبلا عوج شكونا إليهما
جرت عبرات منهما وتصدعا
بكي يوم تل المحلبة صاحبي
ويوماً على الثرثار حن ورجعا
فأجابه التمري :

أيا جبلي سنجار هلا دقتما
بركيتكما أنف الزبيدي أجمعا
لعمرك ما جاءت زبيد لهجرة
ولكنها جاءت من الرمل جوعا
خاصمت بعض نساء العرب زوجها وقالت له : ما رأيت معك خيراً
قط ، فقال :

ألم أبغك المال قد تعلمين
وجبت العراق وجبت الشاما
وجبت الشريف بأكنافه
وجبت اليمامة غراً غلاما
فأنت الطلاق وأنت الطلاق
ق وأنت الطلاق تماماً تماماً

كان عند مرقال بن بخرنة الأسدي ابنة عم له ورهأ فدخل منزله
يوماً وهي مغضبة فقال : ما شأنك ؟ قالت : لأنك ما تشبب بي كما يشبب
الرجال بالنساء ، فقال : فيأتي أفعل ، قالت : فهات ، فأشدها وكان اسمها
عبدة :

تمت عبدة إلا في ملاحتها
فالحسن منها بحيث الشمس والقمر
ما خالف الظبي منها حين تبصره
إلا سؤالهُ والجيد والنظر
قل للذي عابها من حاسد حتى
أضمر فرأس الذي قد عبت والحجر

[معنى الحنين إلى البدر]

رامة بنت الحصين بن منقذ بن الطمّاح، وكانت وردت الحضر فلم
تستطبه فحنّت إلى البدو وقالت:

أقام معي من لا أحبُّ جواره
ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً
وَجَارَايَ جَارَا الصَّدَقِ مُرْتَحِلَانِ
فإن يُتَجَنِّي منها الذي ساقني لها
وَبَيْنِي وَبَيْنَ البَصْرَةِ النَّهْرَانِ
فإن يُتَجَنِّي منها الذي ساقني لها
وقالت أيضاً:

ياليت شعري وليك أصبحت غصصاً
ألا سبيل إلى نجدٍ وساكته
هل أهبطن قرية ليست بها دورٌ
لقد تبدلت من نجدٍ وساكته
أولا فتجد حبيب الأهل مهجورٌ
أرضاً بها الديك يزقو والسنانيرُ
سويد بن سواد الجلهمي وكان له فرس يسمّى ناصحاً فأراد السباق به
فقال يخاطبه:

اناصح برز للسباق فإنها
فإنك مجلوع عليك ضحى غدٍ
غداة رهان جمعته الحلابُ
أنذكرُ إليّ أسيك في كل شتوةٍ
ومالك إن لم يجلب الله جالبُ
لك الله والإسلام إن جئت سابقاً
ردائي وإطعاميك والبطن ساغبُ
وان لا أربح الدهر مالا ملكته
عليّ؛ ونذراً أبيعك وأجبُ
وأنت سوى أرضي من الأرض عازبُ
إذا ما بدت للناظرين المشاجبُ
أحمرٌ دجوجي كأن عظامه
أعرابي (١):

فإن أهلك فقد أبقيتُ بعدي

(١) هو ابن ميادة.

لذيذات المقاطع محكمات
 حارثة بن بدر العُداني:
 هو الشمسُ إلا أن للشمس غيبةً
 وهذا الفتى العمريُّ ليس بغيبُ
 يروحُ ويغدو ما يُفتّر ساعةً
 وإن قيل ناءٍ منك فهو قريبُ
 لو أن الشعرَ يكبسُ لارتدينا

[معنى «إن لم يغرز ينتظر»]

هذا مثل قول أخت المتشر ترثيه:
 لا يأمنُ الناسُ ممسأهً ومُصبَحَهُ
 من كلِّ أوبٍ وإن لم يَغْرزُ يَنْتَظِرُ
 مثله قول عروة بن الورد:
 مُطَلًّا على أَعْدائِهِ يَزْجُرُونَهُ
 بساحتهم زجرَ المنيح المشهرِ
 إذا بَعُدُوا لا يَأْمَنُونَ أَقْتِرَابَهُ
 تشوقُ أهل الغائب المتنظِرِ

[من غرائب الحمق مدح الكميت للنبي]

ما نعرف شيئاً من الشعر القديم ولا المحدث يلحقه من العيب على
 تقدم صاحبه وإجماع العلماء على تفضيله في الشعر وحذقه به مثل هذه
 الأبيات وهي للكميت بن زيد يمدح بها النبي ﷺ، وهي:
 فاعْتَبَبَ الشُّوقُ من فؤادي والشعرُ إلى من إليه يُعْتَبَبُ
 إلى السراج المنير أحمدلاً
 تعدلني رغبةً ولا رهبُ
 عنه إلى غيرهِ ولو رفعَ الناسُ إلي العيونَ وارْتَقَبُوا
 وقيل: أفرطت، بل قصدتُ ولو
 عتقني القائلون أو ثلبوا
 إليك يا خبيرَ من تَضَمَّنَتِ الأرضُ ولو عاب قولي العيبُ
 لِحَ بتفضيلك اللسانُ ولو
 أكثر فيه اللجاجُ والصخبُ

هذا الشعرُ من غرائب الحمق، من رأى شاعراً مدحَ النبي ﷺ فاعترضَ عليه أحدٌ من جميع أصناف المسلمين حتى يزعم أن ناساً يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه؟ وله شبيهٌ بهذا في مرثية رثى بها النبي ﷺ يقول فيها:

وَبُورِكَ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ وَبُورِكْتُ بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ لِدَلِكِ يَشْرِبُ
لَقَدْ غَيَّبُوا بَرًّا وَحَزَمًا وَنَائِلًا عَشِيَّةً وَارَاكَ الصَّفِيحُ الْمُنْتَصِبُ

وهذا شعرٌ يصلح أن يرثى به عامة الناس غير النبي:

جرير يهجو بني حنيفة:

أبناءُ تُخَلِّ وحيطانٍ ومزْرَعَةٍ
قطعُ الثُّمَارِ وَسَقْيُ التُّخْلِ عَادَتُهُمْ
لَوْ قِيلَ: أَيْنَ هُوَادِي الخَيْلِ مَا عَلِمُوا
أَوْ قِيلَ: إِنْ حِمَامِ المَوْتِ آخِذِكُمْ
حاتم الطائي:

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالكِ
إذا ما صنعتِ الزَّادَ فالثَّمِسي لهُ
كسريماً قصبياً أو قسريباً فإِنِّي
وكيف يُسِغُ المرءُ زاداً وجارُهُ
وللموتِ خَيْرٌ من زيارةِ باخِلِ
ويا ابنةَ ذي البُرْدَيْنِ والفرسِ الوَرْدِ
أَكِيلًا فَإِنِّي لست أَكَلُهُ وَحَدِي
أخافُ مَدَمَاتِ الأحاديثِ من بَعْدِي
خفيفِ المعى بادي الخِصاصةِ والجَهْدِ
يُلاحِظُ أطرافَ الأَكِيلِ على عَمْدِ

حَجَلِ بنِ نَضْلَةَ:

فَوَيْلُ أُمِّ لَدَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةٌ
وقد يَقْصُرُ القَلْبُ الفَتَى دونَ هَمِّهِ
مع المَالِ يُعْطَاهُ الفَتَى المُتْلِفُ التَّدِي
وقد كان لولا القَلْبُ طَلَّاعُ أَنْجِدِ

مثل معنى البيت الأول^(١):

علمت بِأَمْجَاشِعِ بْنِ مَسْعَدَةَ
أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاعَ وَالْجِدَّةَ
مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

ومن المعنى الأول قول الطرمّاح:

وشيّني أن لا أزال مُنَاهِضًا بغير ثرى أُنْدَى به وأبوعُ
أُحْتَرِمِي رَبِّبَ الْمُنُونِ وَلَمْ أَنْلُ من المال ما أعصِي به وأطيعُ

[معنى أخذ البريء بالذنب]

قام بعض الشعراء إلى قتيبة بن مسلم الباهلي أوك ما وافى خراسان
والياً عليها فأنشده:

شَدَّ الْعِقَابَ عَلَى الْبَرِيءِ وَمَا جَنَى حتى يكون لغيره تنكيلا
وَالْجَهْلُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَإِنْ عَلَا مُسْتَخْرَجٌ لِلْجَاهِلِينَ عَقُولًا
فَقَالَ لَهُ قَتِيْبَةُ: قَبَّحَكَ اللهُ مِنْ مُشِيرٍ، لَا أَقَمْتَ مَعِي فِي بِلْدَةٍ، وَنَفَّاهُ إِلَى
خِرَاسَانَ.

آخر يهجو رجلاً من طيء:

إِذَا لَمْ تَرَ الطَّائِيَّ يَبْذُلُ جَاهَهُ وأمواله دون الصديق لأعدائه
فَسِتِّقْ أَنَّهُ فِيهِمْ دَعِيٌّ وَإِنْ يَكُنْ صحيحاً فلؤم الطبع لا لؤم أبائه
لَمْ نَكْتَبْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مَعَ تَخَلُّفِهِمَا وَسَخَافَةِ لَفْظِهِمَا إِلَّا لِأَنَّ أَبَا نَتْمَانَ
تَنَاوَلَ مَعْنَاهُمَا فَجَوَّدَهُ بِحِذْقِهِ وَحِدَّةِ خَاطِرِهِ فَقَالَ:

(١) من أرجوزة لأبي العتاهية.

لكل من بني حواء عذرٌ
القطامي:

وفي الخدور مها حورٌ مُصوِّرةٌ
إذا ذكرنَ حديثاً قلنَ أحسنهُ
لقيط بن أوفى المنقري:

وما أنا بالساعي إلى أمِّ عاصمٍ
وما أنا بالمنفاقِ ما في خباياها
المرار الفقعسي:

يمشين وهناً وبعد الوهن من خفرٍ
إذا انتسبنَ ذكرنَ الحي من أسدٍ
يحملن ما شئت من دينٍ ومن حسبٍ
غرٌّ منعمَةٌ يضحكن عن بردٍ
لا يلتفتن ولا ينظفن فاحشةً

ولا عذرٌ لطائي لثميم

خلقن أحسن مما قال من يصفُ
وهنَّ عن كل سوءٍ يتقى صدُفُ

لاضربها إنني إذا لجهـولُ
ولا أنا عما غيبتهُ سؤولُ

ومن حياءٍ غَضِيبِ الطرفِ مستورٍ
منزّهات عن الفحشاء والزورِ
وما تمنين من خلقٍ وتصويرِ
تمنن في أي تبئيلٍ وتخصيرِ
ولا يسائلن عن تلك الأخابيرِ

[معنى اختلاف هوى المركوب والراكب]

مرزوق بن فروة المرادي:

تؤم بطرفها نجداً قلوصي

وطرفي نحو أهل الشام سام

هذا مأخوذ من قول عروة بن حزام:

هوى ناقتي خلقي وقد أمني الهوى

وإتني وإياها لمختلفان

فإن تحملي شوقي وشوقك تظلعي

ومالك بالحمل الثقيل يدان

مثل قول جرير:

أَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَبِالْفُورِ حَاجَةٌ فغَارَ الْهُوَى يَاعْبِدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدًا
وَلَمَّا قَالَ مُضَرَّسٌ: بِأَجْدَالِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا قَشِيبُهَا
وَقَدِرٍ كَحَيَزُومِ النَّعَامَةِ أَحْمَشَتْ وَمَا حَيَزُومِ النَّعَامَةِ؟ لَعَنَ اللَّهُ هَذِهِ مِنْ

قَدِرٍ فَمَا أَحْسِبُهَا تُشْبِعُ عِيَالَ مُضَرَّسٍ، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ؟ قَالَ: أَقُولُ
أَنَا:

وَقَدِرٍ كَجَوْفِ اللَّيْلِ أَحْمَشَتْ عُذَيْبًا تَرَى الْفَيْلَ فِيهَا طَافِيًا لَمْ يُفَصِّلِ
لَوْ أَنَّ بَنِي حِوَاءَ حَوْلَ رَمَادِهَا لَمَا كَانَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ غَيْرَ مُصْطَلِ

[في صفة الجذب والخصب]

وَسَنَى بِنْتُ عَامِرِ الْأَسَدِيَّةِ: وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ مَعَ أَطْبَعِ أَشْعَارِهِمْ وَأَغْرَبَهَا
مَعْنَى، بَلْ مَا نَعْرِفُ فِي صِفَةِ الْجَذْبِ وَالْخِصْبِ مِثْلَهَا، وَهِيَ:

أَلَمْ تَرَنَا غَبْنَا مَـاؤُنَا زَمَانًا فَظَلْنَا نَكْدَ الْبَيْتَارَا
فَلَمَّا جَفَّ الْمَاءُ أَوْطَانَهُ وَجَفَّ الثَّمَادُ فَصَارَتْ حِرَارَا
وَضَجَّتْ إِلَى رَبِّهَا فِي السَّمَاءِ رُؤُوسُ الْعِضَاهِ تُنَاجِي سِرَارَا
وَفَتَحَتْ الْأَرْضُ أَفْوَاهَهَا عَجِيجَ الْجِمَالِ وَرَدْنَ الْجِفَارَا
فَقَلْنَا: أَعْيَرُوا النَّدَى حَقَّهُ وَصَبَّرَ الْخِفَاطُ وَمُوتُوا حِرَارَا
فَإِنَّ النَّدَى لَعَسَى مَرَّةً يَرُدُّ إِلَى أَهْلِهِ مَا اسْتَعَارَا
فَبَيْنَا نُوْطِنُ أَحْشَاءَنَا أَضَاءَ لَنَا عَارِضٌ فَاسْتَطَارَا
وَأَقْبَلَ يَزْحَفُ زَحْفَ الْكَسِيرِ سَوْقَ الرَّعَاءِ الْبِطَاءِ الْعِشَارَا

تُعْنِي وتضحكُ حافاتهُ
 خلالَ الغَمَامِ وتبكي مرارا
 كأننا نُضِيءُ لنا حُرَّةً
 تشدُّ إزاراً وتلقي إزارا
 فلما خشينا بأن لا نجاءَ
 وأن لا يكونُ قرارا
 أشار له أمرٌ فوقهُ
 هلمَّ فأمَّ إلى ما أشارا
 مثله قول سُحَيْمٍ :

أصاح ترى البرقَ لم يغتمضُ
 يضيءُ كفافاً ويخبو كفافا
 مثله قول ابن الخطيم :
 أضاءت لنا كالشمس تحت غمامةٍ
 بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجبِ
 مثله بشرار :

قامت تصدَّى إذ رأته وحدي
 كالشمس بين الزبرج المنقذ
 ضنت بخد وجلت عن خد

ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول معن بن أوس يصف نخلًا :

كأنما هي عانسٌ تصدَّى
 تخشى الكساد وتحب النقدا
 فهني تردى بعد بردٍ برداً

أبو محصنة الربعي :

أيأظبية الوعاء أنت شبيهة
 لذلفاء إلا أن ذلفاء أجدل
 فعينك عيناها وجيدك جيدها
 وشكلك إلا أنها لا تعطل
 حسبك إياها لأول نظرة
 فلما تبيننا إذا هي أجمل

فلا تنفري منا فلست بباركٍ شبيهة ذلفاء الحبيبة تُقتلُ
ومثله قول العامري:

فعينك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيقُ
وبيت المجنون أملح معنى وأصلح لفظاً وأوقع في التشبيه من البيت .
وأما قوله «فلا تنفري» البيت فمثل قول الآخر (١):

راحوا يصيدون الطباء وإتني لأرى تصييدها علي حراما
أعزز علي بأن أروع شبيهها أو أن يذفن علي يدي حماما
مالك بن الرئب:

يقول المشفقون علي حتى متى تلقى الجنود بغير جندٍ
وما من كان ذا سيف ورُمح وطاب بنفسه موتاً، بفرْدٍ

[معنى الحصر عن الحبيب مع قرب الدار]

أم محكم الضبية:

كفى للفتى من عيشة السوء أن يرى حبيباً ومن دون الحبيب رقيبُ
وإني ليدعوني الهوى نحو غيره فأبى ويدعون نحو فأجيبُ
إلى البيت الأول نظر أبو تمام بقوله:

وحسبك حسرة لك من حبيبٍ رأيت زمامه بيدي عدوِّ

(١) هو قيس بن الملوّح مجنون بني عامر.

[معنى مذمة النساء]

عاصم بن خروعة النهشلي يذم امرأته :

إلى الله أشكو أنها قد تنكرت وأبذت لي البغضاء أم محمد
توقدني منها بقول كأنه على القلب سفح النار أو حزم مبرد
فقد تركتني عندها كمذله يحاذر وقعا من لسان ومن يد
كأن عذاب القبر تحت خيائها إذا لصقت تحت الخباء الممدد
فيارب فرج كرتني قبل ميتي بواضحة الخدين ريا المقلد
وإني متى عابتها كان عذرها وإعتابها: إن كنت غضبان فازدد
هي الغول والشيطان لا غول غيرها ومن يصحب الشيطان والغول يكمد
تعوذ منها الجن حين يرونها ويطرق منها كل أفعى وأسود
فإني لشاكيها إلى كل مسلم وداع عليها الله في كل مسجد

نظائر من برم بامرأته فتمنى أو هددها بالطلاق أو روعها بالضرة كثير
متسع؛ ولو أردنا استغرافه لكان كتاباً مفرداً، ولكننا نورد منه ما يختار،
وتتجنب ما كان كثيراً مشهوراً وإن كان مختاراً، فمن ذلك قول عُميس بن
كثير البكائي :

مُيتِ بداءٍ أو رُميتِ بضرة أبيتُ أناديها نداءً مشوق
أغصصتني بالريق من غير فاقة أغصك رب العالمين بريق
ومرست امرأة بعض الأعراب وكان لها مَبغضاً فسمعها وهي تقول
«الموت» فقال :

إذا مت فالجرعاءُ منك قريبة ولي في قصي الغانيات معاد
قال: وكانت امرأة أنيف بن فترة الكلبي سيئة الخلق وكانت لا تزال

تُشارُهُ، فقال: لو أتيتُ بها دمشقُ فإنَّها أرضٌ وبتةٌ فلعلَّها تموتُ، فقدم بها دمشق وقال:

دمشقُ خذِيها واعلمي أن ليلةً
شربتُ دماً إن لم أرُ عكُ بحرةً
بعيدةً مهوى القرط طيبة النشْرِ
فَتُغْضِين من غيظِ على لهبِ الجَمْرِ
يُجرِعُكَ السَّمَّ الذُّعافُ لِقاؤها
تقول لك الجاراتُ صبراً وإنما
تَمُرُّ بَعُودِي نَعشِها ليلة القَدْرِ
يُجرِعُكَ الجاراتُ صبراً وإنما

وقريبٌ منه قول جرّان العود أو غيره:

مَنْ كان أصبحَ مسروراً بزوجته
كانَ في البيتِ بعد الهدءِ راصدةً
من الأنامِ فإني غيرُ مسرورٍ
غولاً تصوّرُ لي في كلِّ تصويرٍ
شوهاءُ زرقاءُ مسنونٌ ظافرها
لم تُلَفْ إلا بشعرٍ غيرِ مَضفورٍ
مشومةُ الوجهِ نحسٌ ما تُفارقهُ
كانتُها دبقَةٌ في ريشِ عُصفورٍ
كأنتي حين ألقى وجهها بكراً
هوى إلى الليلِ يومي ذاك في بَيرٍ

مثله لآخر:

وما تستطيع الكحلُ من ضيقِ عينها
وفي حاجيَّها جَزَّةٌ لغرارةٍ
فإن عالجته صارَ فوقَ المحاجرِ
وئديانِ أمّا واحدٌ فكمَنوزةٍ
فإن حلَّقنا كانا ثلاثَ غرائرٍ
وأخرف فيه قربةً لمُسافرٍ

[معنى منع العطاء وبسط الوجه]

مسعود بن عرفجة اللبّيثي:

وأبيضُ زَوَلٍ بين أنساءِ قَوْلِهِ
إذا أمّةُ الرَّاجِي انشنى عن فنائه
بِعادٍ وتقريبٍ ويأسٍ ومَطْمَعٍ
وفوهُ من التقريظِ ملآنٌ مُتْرَعُ

بلا جِدَّةٍ نالتُ يَدَا مُسْتَمِيحِهِ سَوَى أَنَّهُ هَشٌّ وَإِنْ كَانَ يَمْتَعُ
 هَذَا مَعْنَى ظَرِيفٍ غَرِيبٍ يَقُولُ: إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ بِخَيْلًا فَهُوَ طَلَّقَ الْوَجْهَ
 حَسَنَ الْبِشْرِ فَقَاصِدُهُ يَنْصَرِفُ شَاكِرًا لَهُ وَإِنْ لَمْ يَنْلُ مِنْهُ شَيْئًا سَوَى طَلَاقَةِ
 وَجْهِهِ، وَمَا أَشْبَهَهُ يَقُولُ الْآخَرُ:

أَنْتِ ابْنُ وَهْبٍ أَبْتَغِي فَضْلَ عُرْفِهِ وَمَا زَالَ حَلْوُ الْمَنْعِ حَلْوُ الْمَدَاهِبِ
 فَأَصْفَحَنِي عَنْ حَاجَتِي بِطَلَاقِهِ سَلَوْتُ بِهَا عَنْ مُنْفَسَاتِ الرَّغَائِبِ
 مِثْلُهُ لِأَبِي هِفَّانَ:

أَوْسَعْتَ عُمْرًا ثَنَائِي حِينَ أَوْسَعْتِي بِرَّ اللِّسَانِ وَوَشَكَ الصَّرْفِ إِذْ صَرَفْنَا
 حَسِبْتُ بَاقِي زَادِي مِنْ مَوَاهِبِهِ وَقُمْتُ أَعْقَدُ حَبْلِ الرَّحْلِ مَنْصَرِفْنَا
 فَابْتُ مِنْهُ إِلَى أَهْلِي وَبِي رَمَقٌ لَا مَطْلَ عَانَيْتُ مِنْهُ لَا وَلَا خُلْفَا
 مَا نَعْرِفُ مِنْ نِظَائِرِ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا هَهُنَا:

المجنون:

قَالَتْ لِحَارَتِهَا يَوْمًا تُسَائِلُهَا لَمَّا اسْتَحَمَّتْ وَأَلْقَتْ عِنْدَهَا السَّلْبَا
 نَشَدْتُكَ اللهُ لَمَّا قُلْتُ صَادِقَةً أَصَادِقُ صِفَةُ الْمَجْنُونِ أَمْ كَذْبَا

[معنى التساؤل عن صدق صفة العاشق]

وإلى هذا المعنى نظر عمر بن أبي ربيعة بقوله:

وَلَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابِ لَهَا وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَرِيمٍ تَبْتَرِدُ
 أَكْمَمَا يَنْعَتِي تَنْظُرُنِّي عَمَّرَكُنْ اللهُ أُمَّ لَا يَقْصِدُ
 فَتَضَاحِكُنْ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ
 حَسَدًا حُمْلَنُهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

أما قوله «فتضاحكن . . .» البيت فهو مثل قول الآخر (١):
 فعين الرُّضَا عن كلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
 إِلَّا أَنْ هَذَا جَمَعَ مَعْنَيْنِ وَهِيَ الرُّضَا وَالسُّخْطُ .

فقد اخترنا في هذا الكتاب من أشعار العرب وبديع معانيهم وطريف استعاراتهم وتشبيهاتهم ما وقع في جملة من الورق كثيرة، وضمته عدة أجزاء، ولو أردنا أضعاف ذلك لَمَّا تعذَّرَ علينا ولكنَّا نَقُومُ بِهِ إِلَّا أَنَا مَلْنَا إِلَى الْاِخْتِصَارِ وَتَجْنِيبِ الْإِكْثَارِ، وفيما ذكرنا من ذلك مَقْنَعٌ وَبَلَاغٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ . وجميع ما أثبتناه فاختيار من أشعارهم المشهورة والمجهولة وما لنا إِلَّا الْجَمْعُ وَالتَّالِيفُ، ولعلَّ غيرنا مَن يقرأ هذا الكتاب يُرْذِلُ شَيْئاً مِمَّا اخترناه وَيُهْجِنُ شَيْئاً نَقَلْنَاهُ، وهذا غير مُزْرِبِنَا وَلَا نَاقِصٍ لَنَا، لأنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ اخْتِيَاراً، ولعلَّ آخِرُ مَن يَتَصَفَّحُهُ يَعْرِفُ النَّظِيرَ لشيءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ فَيَشْتَعُّ عَلَيْنَا وَيَقُولُ: تَرَكَوْا نِظَائِرَ، وَلَمْ نَشْرِطْ أَنَا نَاتِي بِجَمِيعِ النَّظَائِرِ وَلَعَلَّنَا أَعْرَفُ بِمَا خَرَجَهُ الزَّأْرِي عَلَيْنَا مِنْهُ إِلَّا أَنَا تَرَكَنَاهُ لِمَعْنَى، وَيَجُوزُ أَنْ لَا نَعْرِفُهُ لِأَنَّا لَمْ نُحِطْ بِجَمِيعِ الْعِلْمِ، وَالشَّعْرُ أَكْثَرُ مِمَّا يُحْصَى، وَالغَرَضُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَأَرَدْنَاهُ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى مَحَاسِنِهِمْ فَقَدْ بَلَّغْنَاهُ وَالآنَ نَبْدَأُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ فِي اخْتِيَارِ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ وَغَرِيبِ مَعَانِيهِمْ وَحُسْنِ اسْتِعَارَاتِهِمْ بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ لِيَشْتَمَلَ الْكِتَابَانِ عَلَى الْفَنَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْمُحَدِّثِ، وَنَرْجُو أَنْ يَقَعَ هَذَا الْكِتَابُ الْآخِرُ مَوْقِعَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مِنْ قَلْبِ مَنْ صَنَّفَنَاهُ مِنْ أَجْلِهِ -أَيُّدُهُ اللَّهُ- إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَوَسَلَّمَ تَسْلِيماً وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .



(١) هو عبد الله بن معاوية بن جعفر .

الفهرس

الصفحة

٥	المقدمة
٧	المؤلفان
١١	الأشباه والنظائر
١٣	النصوص المختارة
١٧	معنى قتال الأقارب بكره القلوب
١٨	معنى عرف الحبيب بالديار
٢٢	التوارد وهو عندنا سرقة لا محالة
٢٣	من شعر القتال الكلابي
٢٤	الحذق في الشعر، وأخذ معانيه
٢٥	معنى الهجاء
٢٧	معنى «كفى بالسلامة داء»
٢٩	من شعر جران العود النميري
٣١	معنى مشي المرأة
٣١	معنى حديث النساء
٣٣	من شعر مسكين الدرامي
٣٤	معنى قلة الغيرة
٣٥	مضاحكة الضيف ومحادثته
٤١	في هجو النساء

الصفحة

- ٤١ ذم من قصر عن آبائه
٤٣ معنى مشي المرأة
٤٣ معنى الهجاء: الاستهانة بغضب المهجو
٤٤ معنى الهجاء بقصر النفس على المأكل والملبس
٤٩ وصف الثغور
٥١ معنى فضل النعمة على الشكر، وعكسه
٥٥ مشي النساء والرجال
٥٩ معنى التزوج في غير الأقارب
٦٠ معنى الجود
٦٠ الديباج الخسرواني لسحيم عبد بني الحسحاس
٦٤ معنى مشي النساء
٦٤ معنى وصف العناق
٦٥ معنى سؤال قريبي العهد بالغنى
٦٧ معنى الأيمان الكاذبة
٦٨ معنى صفة الفم بالظن والتفريس
٧٢ معنى وشاية الطيب والحلي
٧٤ معنى أمانى المحب للتفرد بالحبيب مع البلاء
٧٦ معنى ذكر الحبيب في الصلاة
٧٧ معنى «كادت دمنة الدار تنطق»
٧٧ معنى حسر الدموع وإجمامها
٨١ معنى لا إصلاح بعد الأربعين

٨٢	معنى هجاء الضيوف
٨٢	أطبع قصيدة للعرب
٨٦	معنى الاستعانة في البكاء بالغير
٨٦	نوع خاص من الهجاء
٨٨	معنى الاستعانة في البكاء بالغير
٨٩	معنى صفة الفم
٨٩	في صفة الخباء
٩٣	معنى الحنين إلى البدو
٩٤	معنى «إن لم يغز ينتظر»
٩٤	من غرائب الحمق مدح الكميت للنبي
٩٦	معنى أخذ البريء بالذنب
٩٧	معنى اختلاف هوى المركوب والراكب
٩٨	في صفة الجذب والخصب
١٠٠	معنى الحصر عن الحبيب مع قرب الدار
١٠١	معنى مذمة النساء
١٠٢	معنى منع العطاء ويسط الوجه
١٠٣	معنى التساؤل عن صدق صفة العاشق